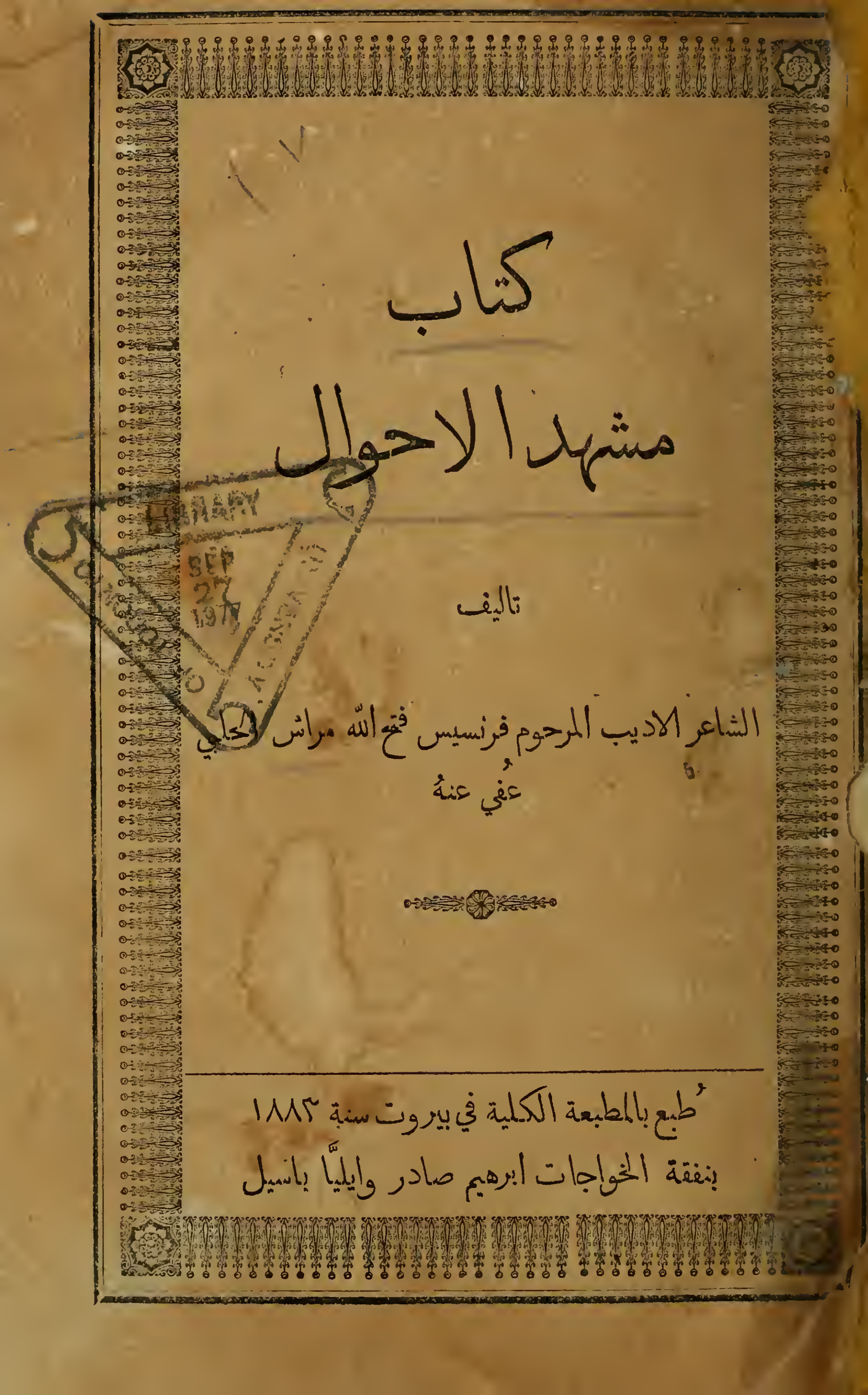




كتاب

مشهد الاحوال

تاليف

الشاعر الاديب المرحوم فرنسيس فتح الله مراش الحلبي
عُفي عنهُ

طُبع بالمطبعة الكلية في بيروت سنة ١٨٨٣
بنفقة الخواجات ابرهيم صادر وايليا باسيل

حال الكون

وجودٌ لاحد لهُ ولا مدى . وبدءٌ ليس لهُ ابتدا . يفوق طور العيان فلم يرهُ بشرٌ قط . ويسمو على ادراك الاذهان فلا يمثلهُ الاَّ ذاته فقط . حتى اذا مالح كمالاته المجيده . واستطلح عنايته المؤبده . اوحى الى الابواب السرمدية فانفتحت . واوعز الى غوامض الحركة فاتضحت . فاندفع الغبار الكونيُّ من تلك المصارع الدهريه . وانتشر في هاتيك العرصات الابديه . واذ تبلبل بعضه تسلح بالتجاذب . وحمل حمل التحارب . فانطبق كلٌ على قرينهِ بالالتصاق . طبقَ ايعاز الخلاق . فنجمت العوالم الكرويه . شموساً وكواكباً دريه . وانطلقت ثانويَّات تلك الملاحم الكونيه .

اجيجٌ شب من صراغ ذلك الجم الغفير . فاحرق دقايق الاثير . حتى انبجس نور الاحتراق . وانار غسق الانطباق . فكانت الحرارة في الاكوان . بظهور النور للعيان . ولما استكملت تلك التحاريات جماداً . بعد انقادها اجيالاً وامادا . نضجت نضوج الثمر في الكمام . وانشغل الفضاء بالاجرام . وهاكَ منها البعض . كعطارد والارض .

ولما اصدرت الحرارةُ عنصرَ الضو . تمازجا فانبثقت منهما كهرباء الجو . فهاك ثلاثة متوالده . قمنَ في ذاتٍ واحده . فحصحصت الكائنات

وتحركت الساكنات . وتنوعت الحركات وتجنست . وتفاقمت الآثار وتكردست . واذ لاحت الارضُ لتلك المؤثرات صلعاء قفرا قالت فلنكسها باذن الله جمال البردة الخضرا . فانضم عنصرُ الناريّات النواهض ، واتحد اصل الماء باصل الحوامض حتى ترتبت الاصول فتداخلت بالاتحاد . وتفاعلت على بعضها المواد . وهكذا نهضت الحيوة بين تلك الاصول الراقده . فنبهت الى النمو والحركة سواكنَ الذرات الجامده . فهب النباتُ للحال من وراء تلك الفواعل الغارسه . حتى اخضرت اليابسه . واصبحت الوحشية مانوسةً وانسه . فما كان الله ليرضى ارضاً بلا سكن . وقوتاً بلا بدن . ولذلك دعى تلك القوة الحيوية الى التعاظم . ونبهها الى التراكم . فتعاظمت القوة الحيوية وكملت وشملت اصل الحركة وحملت . حتى انتشرت النطفة الحيوانيه . بعد استكمالها مقومات البنية العضوية . فاخذ الحيوان يتجمل ويتكمل . ويتوالد ويتسلسل . ولما تعدد انواعاً . طلب اشباعاً . فحمل كلٌّ على قريبه حمل البعول . حتى برزت المسوخُ والنغول . وهكذا حمل الهواء جانحه . والماء سابحه . والتراب سارحه . ولم يلبث ان خلق الله الانسان . فكان علم الاكوان .

حال الجماد

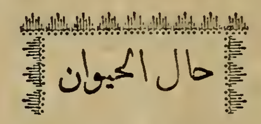
نزاعٌ دائم في دقايق الجماد . وصراع لا يفترلهُ انقاد . فاذا انطبقت

العناصر تصاب بالجمود والقرار. واذا تخللت انتشرت او سالت الي اهوية وبخار. فالصخور تحلل والمياه تتسلسل والهوى يتبلبل فحراكه لا يقف مداره. وعراكه لا يقر قراره. وبذلك تحترق المعدنيات. فتنهض المرتفعات. وتذوب الجامدات. وتجمد السايلات. وتفقد العيون سلسالها. وتزلزل الارض زلزالها. وهكذا لا يزال الجماد بين اجتماع وانفصال. وسلام وقتال. ولا تبرح الحركة بين اقتراب وابتعاد. وخمود واتقاد. حتى تقوم الكائنات المختلفه. وتبرز الاصول المتصفه. بالحيوة والثوران. كالنبات والحيوان

حال النبات

فهب النبات من مرابضه الحيويه. وانتشر على سطح الكرة الارضيه فتوج الجبال ووشح التلال. وظلل المنحدرات والوديان. وجلل السهول والقيعان. فتكلل الشجر بالسحاب. والتحف النبت بالضباب. وما زالت الطبيعة تفلح المثوى. والارض تصلح المأوى. حتى تنوعت الاجناس وتحددت. وتفردت الانواع وتعددت. فذهب النوع يحمي ذريته. والشخص يحفظ بنيته. فاعضاء تهتم بالتثبيت والتشييد. واخرى تخدم للتوليد والتجديد: واجزاء ترد غارات التقلبات. والات تردع طبايع المؤثرات كتضعيف اشتداد الضو. وتلطيف كثافات الجو فالزهور تبتسم عن اصول الحيوة القوتيه. والجزور والاوراق تستقي

وتنتقي المواد الغذويه · على حالة البهيميه · فيتقوم الجهاز العضوي ويتشيد البنيان الحيوي · ليكون طعامًا للحيوان ومقامًا للانسان · فكانَ النباتُ طباخَ الاكوان · والحيوان اكال الالوان · ولما كانت الحيوةُ عرضةً للعوارض · وموقعًا للقوارض · جعلت اجناد ذلك الوجود الاكبر · تغذو قوايم هذا الكون الاخضر · فبينما الجزوع تبهُ بقاماتها النضره · والاغصان تزهو باوراقها الخضره · والرياضُ تبتسم بازهارها لدى سقوط الانداء · والغياضُ تهتز بادواحها رافلةً بمطارف الافياء · يهبُّ الجو عليها براجحات اهوائه · وسافحات انوائه · فتنقضُّ الصواعق اخذةً بالجزوع فتصابُ بالهجوع · وتفتك السيول بالجزور · وتنثر عقود الزهور · فيما ان الكل يكون ملاعب الحوادث الجماديه · وفرايس الطبيعة الحيوانيه · لاخراجها عن فصلها وايلاجها في اصلها



حال الحيوان

ولما استكملت الحيوة اتقانه · واحسنت القيام احسانه · تحركت على الارض فكانت حيوان · وانتقلت بالارادة الى كل عيص ومكان فربض الوحشُ في الاحجار · وسكن الطيرُ في الاوكار · ونام السمك في البحار والانهار · وهكذا سار البعض على الاربع وساح · والبعض خفق بالجناح على الرياح · والبعض في الماء سباح · ولما على مايدة الحيوة امكن التقاء الشديد بالضعيف · والثقيل بالخفيف والكبير بالصغير

والطويل بالقصير . انشأ الكل قتالاً وخصاماً . فكان كلٌ لسواه طعاماً . وهاك انياباً تمزق تمزيقاً . ومخالباً تشتق تشقيقاً . واظفاراً تنشب نشباً واطرافاً تضرب ضرباً . فعراك عظيم لا تخمد شراره . ونزال البم لا يفتر اواره . والموتُ يفتك فتك الشجيع . وهو خاتمة الجميع

حال الانسان

ولما تم الانسان في جنسه . وعلم نفسه . نظر الى الكائنات فادركها . وجدَّ وراء المعرفات فادركها . حتى اذا ما اطلق على المحيطات به نظر المتقد . وميّز الاشيا وفصلها بفكره المتقد . ما لبث ان مد على الكل ظلال رايته . واخضع الجميع تحت رياسته . واذ اخذتهُ جائحةُ الطمع . وغلبت عليه ملكة الولع . وهام بحب الذات وبالفوز على الذوات . ثارت الموجودات عليه بطبايعها . ونهضت ضدهُ الاكوان بشرايعها . واخذت تدافعهُ وتصارعه . وتطالبه الوجد وتنازعه . فنضى سيف حكمه وحكمه . واخضع الكل تحت قدمه . فكان غلبهُ غلبةً عليه . وادراكهُ مصيبة لديه . لا سيما اذ عرف الزمان وميز بين الان والاوان . فغدا يصارع الحاضر . ويرتعد من المستقبل ويأسف على الدابر . فراحت الحوادث تطارده والايام تعانده حتى اصبح هدفاً للاحوال . وعرضةً للاهوال . تارةً يهيمُ بطلاب المسرات . وتارة يضج في حرب المضرات . وبينما الملذاتُ تحيط بقلبه . تحدق الالام بلبه . فما ابتسم الاَّ وبكى . وما شكر الاَّ وشكى . واذا فرح بضع ايام .

حزن بعض اعوام. فلا بد لافعاله من رد. ولوصله من صد. يرى
الدنيا ذهاقًا بالملذات ولا تسقيه سوى الآفات. فيعيش فريسة لآماله.
ويموت خايبًا من كل اعماله. وهاك هذا المقال. منسوجًا على ذلك
المنوال.

صاح بي الدهرُ فاتبعتُ مسيره.   لارى اين اين اينَ مصيره.
ظل يحدي ظعني على الارض حتى   ظلعَ الظعنُ والطريق عسيره.
قلتُ يادهرُ هل قراري بعيد   قال لي انظر بعينك الشريره.
فتأملتُ اين سرنا وصرنا   واذا نحنُ وسط ارضٍ كبيره.
قلتُ هذا المقام قال نعم قل   تُ وماذا يدعى فقال الحيره.
قلتُ لاخرتُ ذا فحملق مغتا   ظًا كوحش باعين مستديره.
قال لي صه. ياعاصيًا فهنا قد   سقتُ كل الورى فما لك خيره.
قلت اني ولم اجد غير قفرٍ   فيه ابكي وحدي دموعًا غزيره.
قال ما انت وحدك اليوم باكٍ   كل عين بدمعها مغموره.
انما المرء لا يرى غير بلوا   هُ فلابنِ الانسان عين قصيره.
فتمعنت برهة واذا الاشيا   ء بانت لباصري والبصيره.
قد رايت الانسان ملقىً على الار   ض كملقي بحرٍ بقفرِ جزيره.
تايهًا بايسًا ودهر الشقا يد   عوهُ في التيهِ ان يكون سميره.
يطلب النصر في منازلة البو   س وهيهات أن يصيب نصيره.
واذا ما الامال سرّتهُ فالخيـ   بة تاتي لكي تزيل سروره.
كل نفس مطلوقة اسر قصد   وبقيد الصروف اضحت اسيره.

فدموعٌ تهلُّ من كل عينٍ ترمق الدهر وهي منهُ ضريره
وقلوبٌ تضج في لهب اليا س من الفوز بين غير وغيره
فملوكٌ تدور في طلب الملك فتمسي على الفنا مستديره
يستثيرون جمرة العنف والدا يا عليهم نارَ العفاء مثيره
ورجالٌ من كل صفٍ وصنفٍ وذواتٌ من كل شانٍ وسيره
كلهم راقصون في مرسحِ الدنيا وكلٌ يبكي بعينٍ كسيره
وكذا الكل منشدٌ نغمة العيش ويشكو سرورهُ وشروره
فجميع الانام راكضةٌ ركضاً الى القبر وهي عنهُ نفوره
عند ما هذه الجرائح بانت لي ودهري افادني تعبيره
قلت والله لا طربت بعيشٍ في زمانٍ انا غدوتُ خبيره

حال الرجل

فولج الرجل في الدنيا . حاملاً على كاهله البلوى . فكانت له بئس المأوى . ايان اندفع يفلح الثري . ليستنبت القوت بالشقا . فيحيي باذل القوى . وما بدون ذلك يجبى . ولاحيوة من السوى . فسقى الارض من عرق الجبين وروى . و بقوته شددها وقوى . فانبتت لهُ الخبز واعارتهُ الحمى . وانالتهُ الداء والدوا . واحلتهُ المحل الاعلى . فارتقى وتعلّا . وسعى في سبيل الكدح واعتنى . فحسن لديه المسعى . وطاب لهُ المرعى . وما زال ان تصلف وطغى . وعلى الخليقة بغى . فدك الاطواد العليا . ونسف ثبيرا ورضوى . ليمهد الممشى فيبلغ الاقصى

ويقصر المدى . واقتلع الشجر الاقوى . وفطر الصخر الاقسى . ليبتني السرادق والمغنى . فينعم في ظل المأوى . ونحر الانعام ليشبع ويتقوى . واستخدم البهايم ليتسلط ويتعلى . حتى اذا ما على الكل استوى . وامدَّ حكمه حتى الى السهى . نهضت ضده الدنيا . وشنت عليه غارات البؤسى . فانكرته النعمى . فارتدَّ يخبط في البلوى . ويهيم في وادي الردى . على طريق الفنا . حيث يرجو المنى . من ايدي المنى . حتى جعل يضج بالشكوى . ويطلب الخلاص فلا يعطى . فذهب يستوجد اقدارا وقضى . ويستوجب احكام الخفا فامل وترجى . وبالاوهام تملى وعلى المحال دنا وتدلى . فلولا الرجا والذكرى . انبجع بنفسه وقضى . والى ربه مضى

ماذا تشاهد في دنياكَ يارجلُ ... ماذا ترى في وجود كله وجلُ

ذا مرسحٌ في خباهُ الدهر يلعب ما ... يستحضر الصاحبان الياس والامل

حكمت في الارض مطلوق اليدين فلا ... يعصاك بحرٌ ولا سهل ولا جبل

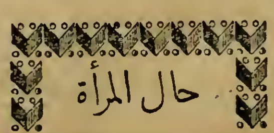
كل الخليقة قد القت ازمتها ... في راحتيك فانتَ السيد البطلُ

فما لعينيكَ تبكي وهيَ راضيةٌ ... وما لقلبكَ يشكو وهو مبتهلُ

خلقتَ للكدِّ في هذه الحيوة فكن ... ما شئت سيان منك الكد والكسل

وقد سلكت على هذا الثرى هدفا ... لكلِّ ضيم فلا ريثٌ ولا عجلُ

لكلٍّ سن همومٌ للفتى وعنا ... لا ينقضي الهم حتى ينقضي الاجلُ



حال المرأة

ولما استوت الطبيعةُ على كيانها . وتمكنت في بنيانها . بالمبت الحافظ على دوامها . والذبّ عن قيامها . فكانت المرأةُ ظرفَ تلك الظروف . وغصنًا داني القطوف . فبادلت الرجل نظرات الاقتراب وغازلتهُ مغازلة الاحباب . فرتع في رياض جمالها . واقتطف ثمراتِ كمالها . حتى تمّا وظايف الاقتران . وحفظا نوع الانسان . وقد اشير الى ذلك في ثمرة العصيان . فحبلت المرأةُ وتوجعت . وتمخضت وتفجعت . فاندفعت الى التربية والرضاع . وتهذيب البيت والمتاع . بينما الرجل يُفلحُ الحقول . ويستغل البقول . ويكدح ويكد . ويجهد ويجد .

ولما اغناها شانها عن المتاعب الدنيويه . والمصاعب الارضيه . وقعت في هموم الهجس . وغموم الحدس فتطلبت الحلى والحلل . وهامت بالرقة والغزل . لتختلس نظرات النواظر . وتسترق خطرات الخواطر . حتى اذا لم تنجع رغابها . ولم تنجح طلابها . رجعت بصفقة المغبون . ذارفة عبرات العيون . وتنظر الى المرآة نظر المتعجب . وتقول كيف هذا الجمالُ قد غُلب . واذا ظفرت بالمطلوب . وانتصرت على القلوب . تاهت بفوزها وتباهت . وبدلالها تناهت . وكلما دنت فاستدنت . ولوت فاستولت . وللتصابي اولت . واذا نفيس نفس اهملها . وفي غرورها امهلها . رجعت فاسترجعت . ونجعت فاستنجعت . ولم تزل بين ورد وصدر . وبيان وحسر . الى ان تسقط دولة ذلك الجمال الباهر . وتذبل زهرة ذياك الشباب

الزاهر. فتعودُ تصدعُ الاذان بقصص صباها . وسير مرباها . ولا تشتغل حينئذ الا بجمع الاشباح . وبتفريق الارواح فتصبح خابطة خبط العشواء وضايعة في الغارة الشعواء .

الحسنُ في الوجهِ سريع الزوال   فلتعلم الحسناء ذات الدلال
الحسنُ سلطانٌ يسود على   عرش الصبا فان يزل ذاك زال
يصبح في عجز فتصدمهُ   وكم وكم سطى علينا وصال
اليومُ وجهٌ حسنٌ وغدا   يلبس هذا الوجه اقبح حال
فتختفي انوار ذاك البها   وتنطفي جمرة ذاك الجمال
السيف ينبو والقنا تنحنى   وليس يبقى للنزالِ رجال
ياربة الحسن جمالك لا   يدومُ الا كدوام الخيال
فحسن وجهٍ ذاهبٌ كالهبا   وحسن طبعٍ راسخٌ كالجبال
فجملي الطبع وحلي النهى   لتقتنى الحسن العديم الزوال
هذا هو الحسن البسيط وما   للجوهر البسيط قط انحلال
لا ينفعُ الفرع اذا لم يكن   للاصل نفعٌ كيف صال وطال
الفرقُ بين الفرع والاصل مثـل الفرق بين الدين والراسمال
فليحذر الافلاس من لم يكن   ذا راسمالٍ والدوامُ محال

اما المراة فهي جوهر بديع البنية واللطافة . يشفُ عن كل رقةٍ وظرافة . ولذلك فهي شديدة التاثر . كثيرة التفكر . سريعة التذكر . ولها في الفهم عقلٌ دقيق . وفي العلم ذهنٌ رقيق . الا انها بطية الاختراع والتبيان . سريعة السهو والنسيان . ولشدة تاثرها . وغموض

تبصرها ، كانت حليفة الجبانه . سهلة الامانه ، ومن شانها حفظ الوداد والادب ، وسرعة زوال الغضب ، فلقلبها الوفا ، ولطبعها الصفا ، وبالاجمال انما المرأة جوهر الانسان . واجلُّ كيان ، رغم كل عدوان .

انمـا المرأة للمرء نصيب	وشريكٌ ورفيقٌ وحبيب
لايطيبُ العيشُ الاَّ معها	كل عيش دون إلفٍ لا يطيب
واذا ما نكدت عيش أمرءٍ	ليس تبقى فهى داءٌ وطبيب
ما دعى تنكيدها يوماً سوى	رجلٍ عن معشرِ الانثى غريب
واذا ما عقد الدرُّ على	عنق بغلٍ لاح فى لون كئيب
وكذا الزنبقُ ان قرِّبَ من	انف تيس عادَ في ريح كريب
هكذا كل لطيف فاقدٌ	لطفه بين كثيف ومعيب
فاعلموا ياعلمـا ياشعرا	ياصفوفُ الناس ياكل اديب
ان كل اللطف والظرف لقد	جمعاً في ذلك الجنس العجيب
ايها الجاني على مرآتهِ	انتَ واللّهِ من الذوقِ شحيب
بئس من يفتكُ بالانثى فما	هِى الاَّ مثل شاةٍ وهو ذيب
ايُّ فضل لصقورٍ فتكت	بحمامٍ او لليث بربيب
واذا سلطك الطبعُ على	جسمها فالعقلُ سلطانٌ مهيب
من غدا محكوم طبعٍ ناشف	بات مرذولا من الطبع الرطيب
انما الزوجانِ ما بينهما	حقُّ عهدٍ متساوٍ لا يغيب
فعلى ذي العهدِ ان يحفظ ما	اوجب العهدُ وان خان يخيب

حال الطفولية

هذا هو الدور الاول لحيوة الانسان . والغلوة الاولى في طريق الزمان . حيثما يقال المداخل طفلاً مولودا . وللخارج شيخًا مفقودا . ولما كان الانسان في هذا المدخل عديم البصيره . خالي السريره . عاريًا من كل الكمالات الادبيه . غير حاصلٍ على تمام الوظائف العقليه . فلا يري الا ما يقوم قربه . ولا يشعر الا بما يستعطف قلبه . فيلعب بالتراب ويذريه . ويعبث بالتبر ويذريه . ويسخر بالمقبولات والمردودات ويضحك على كلّ الموجودات . فلا يهتم الا بطلب الغذا . ولا يحفل الا بما يورث الاذي . واذ لا يبرح طايشا بخفة بنيته . وضايعا في تيه نيته . فلا يسمع دويّ ضوضاء العوالم . ولا رويّ قوافي العظايم . بينما يكون باكيا تحت تاثيراتها وفواعلها . ومتحركا وساكنا تحت جوازمها وعواملها . ومسرعا في طريق حياته الى الدخول في ابوابها . والغوص في عبابها . فلبث عينيه تري ما يستقبله من الاوصاب . وما يستنظره من الاتعاب فما الثدي الا رمز الردي في طلب القوت . وما المهد الا اشارة التابوت .

حال الفتوة

هذا هو الدور الثاني للحيوة الانسانية . والمساحة الاولى لانتشار القوي العقليه . او التل الاول في طريق الاجل . ومسلك العمل فيصعد الانسان عليه . وينظر العالم بعينيه . فيراه مشهدا بديع الجمال .

ومرسحا تلعب به الامال · وترقص فيه الملذات والاماني · وتحوم حولهُ البشاير والتهاني . فتشملهُ شمول هذا الظهور · وتلعب براسه حمية هذه الامور · فيبات سكران بالافراح · وماخوذا برنين تلك الاقداح · فيبسمُ مدي الاوقات · ولا يعلمُ ما الافات . اذ يظل ملتفًا بكساء الامال · ومحتفا باوهام الاعمال · فلا ينظر الا الى ذاته · ولا يحفل الا بصفاته · هايمًا في ملاهي دنياه · ومتهافتًا على حداثة قواه · وهكذا فيهبط في وادي هذا العالم الملم · ويخبط في ذلك البحر الخضم · ولا يزال بين هبوب وانكباب · الى ان ينشلهُ الصواب ويدركهُ الشباب

حال الشبوبية

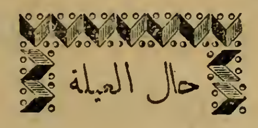
اما الشبوبية فهي الدور الثالث للاجل · ومحل الكد والعمل · وموقع الياس والامل · حيثما يوجد الانسان ضائعًا في مفازة العمر حائرا في تنوفة النهي والامر · فيرى نفسه قايماً في وسط هذه الدنيا · ممنطقًا بكافة الاشيا · ملتطما بامواج العالم واهوائهِ · مصروعاً وماخوذاً بضجاته وضوضائه · وهكذا فتنهض في قلبه ثورة الحواس · وتشب في دماغه نار الوسواس · وتصفر في سريرته ريح الاهجاس · فيندفع الى منازلة الاقدار والايام · ومقاتلة الحقايق والاوهام . فتارة تهبُّ به الامال الى اوج الافراح والمسرات · وطورا تكبُّ به الخيبات في حضيض الاتراح والحسرات · يرى العالم قريب المنال · فيندفع وراه على متون الاهوال حتى اذا ما ظفر بالبعض طمع بالكل · واذا فاز بالشبع رغب في الظل

فلا يكون الا مضغة في افواه المطامع . وكرة تتلقفها القوامع . ولذلك انما يوجد مهبطاً لحوادث الحدثان ومسقطاً لمكائب الزمان . ولا تزال زهرة هذا الشباب الزاهي بين ذبول وافترار . ولا يبرح بدر هذا العصر الباهي بين خسوفٍ واسفرار . الى ان تنثر الشيخوخة تاج تلك الزهره ويصفع الهرم وجه هاتيك القمره . حيثما يسقط الشباب من فرشهِ . ويرتفع المشيب على عرشه

حال الشيخوخة

ان حياتنا هي بخارٌ يتصاعد قليلاً ثم يضمحل . نعم . كلٌ يضمحل كالضباب . حتى الجبال تمر مرَّ السحاب . فلا دوامٌ للوجود ولكنما العدم محال . ولا طمعٌ في الخلود . فكل مركبٍ للانحلال . فلا يزال الانسان سايرًا في طريق عمره سير المسافر في القفار . الى ان يبلغ رابع الادوار . وهو دور الدثار . هذا اذا امكنه الخلاص من لصوص الحوادث . والمناصُ من اُسد الكوارث . ونهبة الاعراض . وقتاة الامراض . فيلبث هناك منهوكاً من تعب المسير . ومضض التاثير . اذ يعود منحنيًا تحت احمال الحياة واثقالها . ومرضوضاً من صدمات الدنيا واهوالها . فتصمتُ ضوضاء حواسهِ وهواجسه . ويخرس رنين انفاسه ووساوسه . فيكف بصرهُ . وتجف فكرهُ . ويقل ذوقهُ ويكثر شوقهُ . ويبخل حتى بالفلس . ويزيد حرصهُ على النفس . ويجود بالنفس . فاذا التفت الى ورائهِ وراي الدنيا التي قطعها والطريق التي

نتبعها . ظهرت له الاشياء اشباح احلام . ومراسح اوهام . وكلها تجرى
نظيره الى الزوال . كالطيف والخيال فيضحك على الجميع . ضحك
الطفل الرضيع . اما اذا التفت الى الامام . وطمع ببقية الايام . حنَّ
الى الوجود . وهام بحب الخلود . ولا يزال الماضي يدفعهُ . والحاضر
يردعهُ . والمستقبل يطمعهُ . حتى تختطف يمامة نفسه بزاة المنية . وتسلبهُ
كل بغية وامنية . فيهبط هبوط البنيان . ويغور في قبر النسيان .
حيثما تسترجع الكليات جزئياتها . وتسترد المجموعات مفرداتها



ولما اشعر الانسان برسوم وجوده . وادراك لزوم حدوده .
انف الشتات والانفراد . وطلب الزواج والعقاد لينفصل عن هيئة
الجهل ويتصل الى اداب العقل . وفاقًا لامكان نفسه . وخلافًا لعجز
سائر جنسه . فعاهد زوجتهُ على حفظ العهد . وحالفها على دوام الود .
وعلى قيود هذه الشريعه . اخذاً بالحان الطبيعة . فجادت لهما بالاولاد .
وطبعت بهم لهما الانقياد . فحنَّ الاب الى بنيه . ومال الابن الى ابيه .
وبقيام تلك الاحوال . تقومت الاعيال . وتبادلت بينهما الاميال .
وهكذا فالمودة الاقترانية . والمحبة الوالدية هما اركان العيلة والذرية
ولذلك فالنمو يحرض الافراح . والنقص يحضرُ الاتراح فيأنُّ الويل
للمفقود . ويرن الهناء للمولود . وما تلك الاعمار الطوال . الا حيوة
اسماء العيال .

حال الهيئة الاجتماعية

ولما تقومت العيال. وتبادلت الاميال. اخذت كل عيلة تقترب من جارتها بالزواج. وتقايضها في ادوات النتاج. فاشتدت الروابط بين البشر. وانتصب عمود الوطر. وشرع الناس يحاضرون. والى بعضهم البعض يسافرون. حتى تشيدت بينهم المعاملات. وتمكنت المبادلات. فكثرت الحاجات الانسانية. وتفاقمت الضرورات البدنية حتى التزم هذا الى ذاك. واحتاج ما هنا الى هناك. وما ابث ان انتظم نثار البشر. وانضم البدو الى الحضر. وهكذا قد استحدث الانسان شرايع الانضمام. وانشأ مواطن الالتئام. فنهضت مطامع النفوس. وحامت السعود والنحوس. حتى ثار الناس على بعضهم البعض. وجعلوا يسقون بدمائهم الارض. فساد هولاء واغتنوا. وافتقر اولئك وعنوا فقامت الملوك والروساء. وتمكنت الاسياد والامراء حتى لقي الانسان ما جناه. وهلك بما جناه. اذ اضحت الروس تتهشم تحت مطارق السيادة. والافكار تضل في مناهج القياده. واخذت الانسانية بما ابدعت من المتاعب. ورجعت تشكو صروف المصائب فما مصائبها الا مآربها. وما اوجاعها الا اطماعها. ولما احتاج الانسان الى لوازم الحيوة الاجتماعية. وبواعث السكنى الانتظامية. افضت به الضرورة الى التمدن والالقاب. ولجم الطبيعة بالاداب. ليحسن نظام الجماعة في سلك الاتصال. وتتسهل سبل الافعال والاعمال

وتتميز الاشخاص المجتمعة · وتتهذب الاطباع المندفعة . وما زال الاجتماع آخذاً في ازدياده · والنظام سالكًا في انعقاده · والضرورة تجهد المجرى والعقل يجدُّ بالمسري · الى ان اتصلت القبايل بالقبايل. ولحقت الاواخر بالاوايل ·

حال البلاد

واذا نظرت الى البلاد وجدتها   تشقى كما تشقى الرجالُ وتسعدُ

ولما سكن الانس فى الانسان · وجمع بين اشتاته الاقتران · انف البادية وابى · والف الحاضرة وصبى · فجعل ينصب المداين · ويغرس الجناين . فعوَّض الخيام بالقصور · والدمن بالزهور · والاوتاد بالدعايم التوايم · والاطناب بالقناطر العظايم · فيتحاشى غوايل الاخطار · وسوايل الامطار · حتى اذا ما اشتغل بمحل دون اخر · حيثما المقام اثر · هرع اليه الجوار · واخذوا يستزيدون العمار · واذ اتسع المحيط · وعظم الخليط · قيل بنى الامير المدينة اودخل نوح السفينة وهكذا تنشا البلاد و ينتظم شمل العباد · و بقدر اهمية المركز تتسع الدائرة · وعلى قبول تلك السعة تقبل الزايرة · وربما اصبحت المدينة مقامًا عميمًا · او عالمًا عظيماً · اذ تعود مشهداً لعجايب الخليقة . ومحل كل وهمٍ وحقيقة · فتموج فيها الناس موج البحور · وتصب اليها الركبان صب النهور · وترنُّ في اسواقها قعاقع الالات · وتحتبك في شوارعها معامع المركبات وتنفتح ساحاتها الدخول الملذات والالام · وتنطبق قاعاتها على عجاج

الغموم والانغام . حتى تجمع بين الافراح والاتراح وتوالف بين الفساد والصلاح . فتكون مرسحًا لضوضاء البشر . وموقعًا لوقايع الصور ولم تزل تتقوّي تلك القوة . وتتعظم تلك السطوة . الي ان يحقد عليها الزمان . وتنهرها طوارق الحدثان . فتاخذ بالرجوع القهقري . ونقصان العبقري حتى تصبح رمةً في البوادي ومندب الروايح والغوادي . وهاك بابل ونينوى وصور وما شا كلها من ربات السور ومن يعلم ما ستأول اليه مدينة باريس . هذا المقام الاعلى والبلد النفيس . حيثما انا الان اسحب مطارف المرح . واحسى كؤوس الفرح . متمنطقًا بعجايب الاثار . ومنشدًا علي قوس الانتصار

موشحًا

بان في باريس لي كشفُ السما فوق قوسِ النصرِ لا في بطمسِ
حيثما عاينتُ فيها كلما طابَ للاعينِ . او للانفسِ

دور

يا اخا الذوق على ذا القوسِ قف وارسلِ الطرفَ الى كل الجهات
والزمِ الحذرَ فكم طرفٍ خُطف عندما استعلى على ذي الباهرات
فترى كل جلالٍ لو وصف مثلَ الثابتُ فوقَ السايرات
كل شيء حيرَ العقل كما حارت الافكار بالملتبسِ
واعاد الكفَّ يزجي التلما ما الاقلامِ هنا من ارءوسِ

دور

غير رسم النور ما جال هنا مصحبًا مرآتهُ المستظهره

انما المـرأة تستجلي لنـا ورق الغصن وتخفي الثمره
فكسناقٍ نحوَ ظامٍ قد دنا حامل الطاسات دون المطره
ياصحـابي يمموا هذا الحمى انتمُ السارين تحت الحندسِ
تغنموا الصبح وتعطوا علم ما كل نطقٍ دونهُ في خرسِ

دور

انني قد جئتُ باريس العلا ورأت عيناي َما قد سمعت
شمتُ ما لا نظرت عيني ولا سمعت اذني ولا روحي وعت
آه ما هذه المباني والملا هل بروجٌ ام نجوم طلعت
كل حي ام جمادٍ قد سما وبثوب المجد والكبرِ كسى
مشهدٌ يسطو على العقلِ بما فيه من ايٍ بها الدهرُ نسي

دور

مشهدٌ هيهات يجلى للعيان سره ما لم تجل فيه الفكر
انما الظاهرُ حظ الحيوان بينما الباطنُ حظٌ للبشر
كل شيء لكَ في ذا الافق بان يقتضى درسًا طويلاً وسهر
فهو من ابداعِ فكرِ العظما في زمان الغال لا الاندلسِ
لو اتى هذا الزمان القدما ضرسوا ايديهم بالضرُسِ

دور

ادِر الطرف على هذا الامد وتامل ذي الدرازى الزاهره
والانابيب التي مثل الغُدَدْ تفرزُ النور لتغذي الباصره
وانظر الشهب المنيراتِ الجلد كيف ترنو بعيونٍ حائره

غلِبَ الليلُ هنا فانهزما   وتوارى في عباب الاطلسِ
فالسماءُ الارضُ والارضُ السما   ها هنا فاعجب لذاَ المنعكسِ

دور

ونرى كلَّ رداحٍ للغرام   وُضعتْ وهيَ عليه تحملُ
ذات قدٍّ هو للحسن المرام   صنمٌ والردف منها ميكلُ
اين من عندهُ كالخوط القوام   وكتلِ الرمل ردفٌ عبلُ
ايها الشاعرُ ذرْ هذه الدُمى   تكتسب منهنَّ طيبَ النفسِ
هنَّ في باريس علم العلما   ولكلٍّ الناس كلُّ الهوسِ

دور

ما بدت باريس في هذه السنا   قط لولا حبُّ تجميع النشب
زينوها بالمباني والبنا   والغواني والاغانى والطرب
فسعى كلٌّ اليها ودنا   ينفق الفضة فيها والذهب
ولذا المال عليها قد همى   مثل صوبِ العارضِ المنبجسِ
خلسةً طوعيةً ما حرِّما   فعلها قط علي المختلس

وفي حقل الجنان ايضاً قلت

لستُ ادري في اي كونٍ مكاني   هل انا في باريس ام في الجنانِ
كل ما جاءَ في السماع على الجنـ   ـة القاهُ ها هنا بالعيانِ
ها انا وسط جنة تحتها الانـ   ـهارُ تجري لكن بها كوثرانِ
كوثرٌ فاض من جميع ينابيـ   ـع الاماني واخرٌ من امانِ

هكذا انثنى وخلفى وقدا مي مجالٌ للحور والولدانِ
رب ليلٍ قضيتهُ وانا سكرا نُ سكرين في حقول الجنانِ
بين غيدٍ وغرّدٍ وغدبرٍ وغيومٍ وغيهبٍ وغواني
كان فوقي ورقٌ وتحتي زهورٌ وعلى جانبيَّ صدحُ المثاني
وسطوعُ الانوارِ من كل نبرا سٍ به البدرُ حار والفرقدانِ
ذي سماءٌ تزينت بنجوم الـ حسن لا البهرمانِ والمهرجانِ
فامامي تجري الكواعب من كلٍّ محيا يحيى جنان الجنانِ
سافرات عن كل سكرٍ وسحرٍ باسماتٍ واللّه عن مرجانِ
وعيونٍ اذا رنت هبط القلـ ب واضحى يروغ كالسكرانِ
حيثما الحسنُ فالهوى وهما الاكـ ثرُ لعبًا في مرسح الانسانِ
فهما للحيوة اصلٌ كما اللا ذوت اصلٌ لبنية الحيوانِ
بهما الناس في اتحادٍ وضمٍ فهما للجماعة العنصرانِ
لم تصب ذا المقام باريس لو لم تكُ في الارض اجمل البلدانِ
كلما ازداد حسنها زادت النا سُ هجومًا لذا الحمى المنصانِ
فهي اضحت للخلق مجمع شملٍ ولكل الغواني مجري رهانِ
ينفقُ الاغنياء فيها غناهم فبها الرزقُ فاض كالغدرانِ
واذا لم يعش اخو المال رغدًا فهو في فاقةٍ وفي حرمانِ
كل ما في باريس لطفٌ وظرفٌ وجمالٌ وصحةُ الابدانِ
ليس فيها لذي النقيصة من را سٍ ولو قد علا علي الدبرانِ
واذا النقصُ في موازين ذا الدهـ رِ علا فالكمال ذو الرجحانِ

ايضاً في حرش بولونيا

من ذا ينبهني فقالت لي انا ... قم فالدجى ولى وصبحك قد دنا
قم فالسماء نضت لثام ظلامها ... والافق لاءلاء والسنى بلغ السنا
حتى م كالخالي تنام ضحى فهل ... عني سلوت ولم تعد بي مفتنا
ولقد عهدتك ثابتاً مثلي على ... حب جرى ميثاقه ما بيننا
فوثبت امسح اعيني واجبتها ... اهلاً وسهلاً بالصباح وبالسنا
والله قد قضيت ليلي باكياً ... واذا غفلت فذاك مفعول الضنا
ندماً على ما قد جرى امس المسا ... مني فها انا نادم وانا انا
لو لم اكن بك قد جننت لما بدا ... سخط المحبة فاعذري هذا الجنا
ولذاك لو لم اهوَ عنبك ما رنا ... طرفي لغيرك قط ياكل المنا
فتمايلت ضحكاً وقالت طب فلا ... عتب على من يستخير الاحسنا
ان الخناثة للرجال سجية ... وهم الذين الى النسا نسبوا الخنا
يا ايها الجنس الذي لا يستحي ... رفقاً بجنس للحياء لقد عنا
فاجبتها والجفن يرشح كالوكا ... والقلب من هب الصبابة في فنا
لا بدع ان اكن استخرتك لي اذاً ... فوسحر طرفك انت احسن من رنا
ولانت اجمل من تجلى وانجلى ... ولانت اعدل من تمايل وانثنى
فرنت اليَّ باعين لو لم اضع ... كفاً على قلبي لطار به الرنا
وتبسمت كالبرق نوراً والتوت ... كالظبي جيداً وانثنت مثل القنا
واشارة لرضايها قبضت يدي ... بيد تحاكي زنبقاً او سوسنا
وبدت تغازلني وقالت كلما ... يبنى على اس الهوى نعم البنا

فهبطتُ عن عرش الكري مستبشرًا ورحضت وجهي وارتديت الاثمنا
واخذتها تحت الذراع ضحوكةً وكذا خرجنا والضحى يذري بنا
والشمس قد اخذت بقبظ هجيرها تملى منافسنا ونشوي الاعينا
فتخذتُ مركبة وسرنا سرعة نسعى الى حرشٍ ببولونيا اكتنا
حيث الرطوبة والعذوبة والصفا حيث المسرة والمدار على الهنا
حرشٌ كان الغاب فيه من القضا هلعت فحبكت الغصون تحصنا
غابٌ بها الغزلان ترتع والمها ترعى فلا وحشٌ ولا غيلٌ هنا
وهنا ضراب عيون عينٍ لا ظبا وكذا طعان قدود غيدٍ لا قنا
وسنادسٌ بالاقحوان تسمطت فحكت سماطًا بالكؤوس تزينا
وخمايل بالياسمين تسيجت فهناك سلطان الزهور توطنا
وجداول للروض منعطفاتها اضحت اساور نعم هذا المقتنا
فاذا تاملت البحيرات التى تجري هناك وبطها المتبطنا
لعجبت من بحرٍ جرى في روضةٍ ومراكبٍ سارت عليه بلا عنا
والجاريات ومن تجشم تبعها هبطت بهِ ايانَ تبعث القنا
شلالةٌ يهوي الزلالُ مسلسلاً عنها ويرجع دايرًا متعنعنا
عجبًا لماء قد هوى متكسرًا وعلى الكسور نراهُ يرقص في الغنا
فالصخر من جبس الثرى ورماله لا ملح كلسٍ قام من هدم الفنا
وكذا من السين المياهُ جرين لا من ذوب ثلجٍ في الجبال تمكنا
لكنها هيهات يمكن ناقدًا تمييز ذا المبنىّ عن ذاك البنا
وجميع ذلك صنعة الايدي فما لبدِ الطبيعة من مواقع ههنا

ومذ اختفي ثقل النهار وحرهِ عدنا على الاقدام نطلب ربعنا

ايضاً على جسر القناطر

بينَ صرحِ القضا وجسر القناطر قف تشاهد باريس ملءَ النواظر

وتأمل ذا البشرَ هذه الاماني ذلكَ المجدَ ذا السنا ذي المفاخر

حيثما الطرف جال جالت به الدهــشة والعقل راحَ كالضب حاير

عظماتٌ بهنَّ دايرة الانـســان دارت على جميع الدوائر

فقصورٌ شمخنَ حتى على النجــم كذا قد نطحنَ هام القياصر

وجلالٌ ظلَّ الاوايلُ عنهُ في نعاسٍ حتى انتباه الاواخر

ها هنا الكائناتُ تنفثُ بشراً وجميع الوجودِ زاهٍ وزاهر

ها هنا اللهُ قد افاض على الكــلِ نعيماً كالطلِ ما زال هامر

فثغور الرفاهِ باسمةُ الدهــر وكاسُ الهنا على الكل داير

والصفا خاطرٌ بكل الخوافي والهوى خافقٌ بكل الخواطر

كلٌ هذا الملا جميلٌ ولكن بعضُ هذا الجمال للعقل ساحر

فغوانٍ يرتعن ما بين غيدٍ سارحات كالخود بين الجآذر

محرزاتٌ الجمال من كل معنى داعياتٌ الى الهوى كلَّ ناظر

كل نهد كالعاج والمرمر المنحو تِ مستكمل التخلق نافر

وقوام كانهُ صنم الاسرارِ يوحى بعشقه للسراير

هيكلُ الحسنِ واللطافة لم يجر ق عليه سوى بخور الضمائر

وعيون سودٍ على البيض تسطو بانكسارٍ يسبى الاسودَ الكواسر

يسترقنَ النهى بلحظةِ عينٍ ويصارعنهــا وهنَّ فواتر

ووجوهٌ يسفرن عن كل حسنٍ فبروحي تلك الوجوه السوافر
كل حسنٍ وكل لطفٍ عجيبٍ كل ظرفٍ به العقول حواير
لانطاقٌ يشين قداً ولا قد غريقٌ في الازر او في المازر
وبروحي رعبوبةٌ فتنتني وانا ما على الصبابة قادر
لي شغلٌ يعيقني عن غرامٍ فيه كلٌ للعقل والرشد خاسر
كيف اهوي ولم ازل ضايعاً ما بين كتبٍ وكاغدٍ ومحابر
تارةً اختفي بحجرة الموتى وطوراً في الروض بين الازاهر
والهوى يقتضي كما قال زيدٌ ان يكون الفتى عليه مثابر
ربَّ يومٍ قد مزّق الافق عنهُ برقع السحب والضيا كان باهر
اقبلت دون موعد لي وقالت اترى هل يا غايب الدهر حاضر
ذا نهارٌ باهٍ اجبتُ نعم قالت نعم انتَ فيه لستَ بفاكر
قم بنا نغتنم دفاء نهار مثلهُ في باريس يا صاحِ نادر
قلتُ ويلاهُ من مناخٍ به يغنم يوم الدفاء في شهر ناجر
فطبقتُ الكتاب والقلبُ فيه وذهبنا لله صبٌ مساير
وسرحنا حتى انتهينا الى عرض التصاوير حيث عرض الاعاصر
فاردتُ الدخول قالت وماذا لك في ذا المكان قلتُ مناظر
فابت ان تذوق ذوقي وقالت طول عمري ما عدت اتبع شاعر
قلتُ اني اهواك ياسعد لكن انا والله عاشقٌ للمائر
فادخلي العرض او فخلي سبيلي ان يكن اولٌ فلا بدَّ اخر
فاستعاذت واستهلكت بي ضحكاً واقشعرت من ذا الجواب المهاجر

ثمَّ لم ترض فرقة فولجنا   واخذنا نطوفُ تلك المظاهر
وهي لي كالدليل تشرح ما قد   غمَّ عني شرحاً كاحسن خابر
باصول كذي الصناعة حتى   خلتُ ذاتي مع ذات ميشيل داير
فهي تدري التصوير والرسم والالحان والفنَّ مثل كل الاكابر
ليت شعري متى ارى في بلادي   كوكب العلم والمعارف سائر
فرجال لا يعلمون سوى صوف   وقطن وسمسم وحرائر
ونساءٌ يبحثنَ لكن على ثو   بٍ وقرط وخاتمٍ واساور
واذا الجهل عمَّ ما بين قومٍ   اصبح العلم عندهم كمساخر

ومن هذا القبيل

فاض على الغيهب نوءُ النورِ   فدكهُ وكان مثل الطورِ
واندفع اللالاء كالنهورِ   فهبط الظلُّ هبوطَ السورِ
وانقلع النجم من الجزورِ

فاتشح المشرق بالاضواء   والتحف المغرب بالأفياء
واستهلك الشهاب في السماء   ضحكًا على هزيمة الظلماء
وابتسم الاثيرُ بالسرورِ

والصبح ذو مكانسِ الشعاع   يسعى بكنسِ الظل في البقاع
يرشُّ ماء الوَهج اللمَّاع   فينشر الشعاع كالشراع
وتنطوي غباير الديجورِ

وبالسنى تكهربت هام الشجر   فطار من اغيتها الخضر الشرر
وزقزق الطير لايقاظ البشر   فنهضت من نومها كل الصور

وانفتحت محاجر الزهور

حتى اذا ما احترقت بالنار ذقن الدجى وراح في شنار

عانقت الكون يد النهار وبيضت بقلم الانوار

ما سوَّد الليل على الاثير

والبيدُ بالنور رغت وازبدت كالبحر والهضاب كالموج بدت

واذبذي الانوار باريس ارتدت اضحت كمراءة لجين وغدت

تلوح فيها صور البدور

من كل بدر لابس الكمال متوج بالحسن والجمال

ذي غرة غراء تشجي الخالي ومبسم من كل عيب خالى

بينها الصحيح في كسور

الهة قامت لها في الانفس معابد والنفس بيت مقدس

وما الى الزُهرة منسوب نسي هنا فللدمى انتهى والدَرَس

هنا الهوى في غاية الكدور

وكيف لا يرخي الهوى عنانهُ والحسن اجرى دونهُ فرسانهُ

فكلُّ قلب شاغل ميدانهُ وكل شغل واجد اثمانهُ

ما ضاع الا كل ذي قصور

من لا يري باريس في دنياهُ لم يدر ما الجنة في اخراهُ

ذي جنة ليس لها اشباهُ ما صاح في جوارها ويلاهُ

سوى عديم الذوق والفقير

ليس لذى الفقر بنادي الارض من موضع ولا بوادي العرض

ما نال بين الناس غير الرضّ فحظهُ في الارض حظ النبض
او حظ اوتارٍ على طنبور

باريس هذه مركز التمدن ومحتد العلوم والتفننِ
ليس اقبح ٍ ضمنها من موطن فكلها حسنٌ وما بالحسن
تركُ مكان الحسن والحبور

حسنٌ بماءِ اللطف والظرف سقي فاثمر العشق ومن لم يعشق
كم صحت سرًا في ضميري القلق حيفٌ على هذا الجمال المشرق
ان ينطفي في لجج الدهور

امـا كهذي بابل الازمان في عصرهـا ونينوى يونان
وهكذا تدمرُ بنتُ الجان ها قد غدت جميع ذي البلدان
ملاعبًا للبور والدبور

يقضى على البلاد ما على البشر فاليوم صُغرٌ وغدا ياتي الـكبر
وبعد ذا موتٌ ذريع منتظر ذا بطلٌ يفتك حتى بالحجر
بين يديهِ منتهى الامور

ما الموتُ الا تاجرُ الارواحِ دهقـان لم يشبع ِمن ِالارباحِ
ما عنده في القبضِ من سماحِ وعدتهُ اجرى ِمن الرياحِ
وقلبهُ اقسى من الصخورِ

فلينظرِ الناظر او فهو عمى وليسمع السامع او ذو صمم ِ
وهذه الدنيـا محلُّ الغنمِ فاغنم والا عشت عيش البهمِ
واضحك على جماعة القبور

وربما ياتي دهرٌ تصبح فيهِ هذه المدينة العظمى مثل الخراب وراموز الانقلاب . وقد اوحى لي امكان ذلكَ الاستقبال ان الفق هذا المقال

ففي قليلاً عروس الدهر وارتقبي فان سيرك في الاجيال والحقبِ
مهلا فانت على الاقدار سالكةٌ في مسلكٍ رقدت فيه من التعبِ
في مسلكٍ لم تزل اسدُ النضاءبه تغزو كذاك لصوص الدهر والخطبِ
تاملي ما على هذه الطريق ولا تخفي عن الغير ما عاينتِ من عجبِ
تاملي بعيون الاعتبار وان جهلتِ ما شمتِ فالتبيان في الكتبِ
ماذا ترين وقاكِ الله ماذا بدا لديكِ في ذا الطريق الواسع الرحبِ
ارى فلاةً ولكن لا فلاح بها وليس من قايمٍ فيها سوى خربِ
ارى تلال طلولٍ لحن في بقع تظللت بكروم الشوك لا العنبِ
ارى مهابط ابراجٍ هوين كذاً عمداً فرادى فكالاوتاد للتربِ
ارى نهوراً ولكن لا فراش لها غير القتاد ولا جسرٌ سوى النصبِ
ارى معاشر خلق ههنا سكنوا لكنني لا ارى شخصاً بلا ذنبِ
ارى حدايق لكن لا نبات بها ولاسياج سوى الصفصاف والقصبِ
ارى الكآبة في كل العراص ترى كذا ارى رجسات الحرب والحربِ
ارى على السحب شيخاً كلهُ كبرٌ يسطو على الارض مملوًّا من الغضبِ
كذا ارى منجلاً للحصد في يدهِ ولا يزالُ على هبطٍ من السحبِ
فهل علمتِ الذي عاينتِ من غيرٍ وهل عرفتِ الذي شاهدتِ من عجبِ
هنا بلادٌ على ذا الشوط قبلكِ قد جدّت فجدّ عليها الدهر بالطلبِ

والنحس هبَّ عليها من مرابضه وحاوطتها اغنيالاً غارةُ النكب
ضاعت وكان عليها الدهر احرص من يد البخيل على صاعٍ من الذهب
ذي بابل اينها ضاعت هنا وكذا ذي اختها نينوي سلطانة القطب
وصور تاجرةُ الدنيا وجارتها صيدون اصبحتا اعجاز منقلب
كذا هنا تدمر قد دمّرت ووهت ومنبجٌ لم يعد منها سوى اللقب
فها بلاد علي كل البلاد سطت وارسلت كبرها حتى الى الشهب
تهدمت وانمحت اثارها وعفت ومزقتها نحوس البؤس والعطب
وبعد ضوضاء ذياك الضجيج غدت تمورٍ تحت سكوت الموت والكرب
وكل اسوارها والناس قد حصدت عمداً بمنجل ذاك الشيخ ذي النوب
هذا هو الدهر لا يرضي علي فئةٍ دوام ملكٍ ولا سيفٍ على جنب
فسوف ينظر هذا الدهر نحوك يا باريس نظرة لص نحوَ ذي نشب
وهكذا يسرق الاثار منك ولا يبقي سوي اثرٍ في الكتب محتجب
حتى اذا ما جري ذكرسناك على سمعٍ يقال روايات من الكذب

حال الشرق

ها هنا وجد الانسان الاول . وعلى هذه الارض كان المعول . فالشرق مهدُ الانسان . ومبداء الاوطان . فلا بدع كونه الاصل للمعارف والتمدن . ومنبع العلوم والتفنن . ومنشاء القوات والدول . ومحل الاوليات الاول . اذ فيه تهذبت الابدان . وذاعت الاديان . وظهرت الفلاسفة العظام . والحكماء الكرام . والشعراء المفلقون .

والراوون الصادقون . فهناك اول ما فحت الارض . وعلم الطول والعرض . وتحددت الافلاك ورصدت . وسلكت البحار وقصدت ودرست الطبيعة . ووضعت الشريعة . وانتشرت المتاجر والصناعه . وبدت اليراعة والبراعه . وكشف للسان قناعه . فمن الشرق مبادي المبادي . وايادي الايادي . ولكن الدهر غيور . والزمان غدور . فلما نظر هذا القضاء فلاح هذه الديار . ونجاح هذه الامصار . بسط عليها سحاب الكوارث . واثار عجاج الحوادث . فوقع النزاع بين الملل . واتشب الحروب بين الدول . وشبت نيران القتال . وارتفع هيب الاهوال . فضجت الناس بالفتن . وعجت في الروس المحن . وما برحت التقلبات تمد مضاربها . والمكائد تعد ملاعبها . والزمان ينفث الانقلاب . والخطا يعبث بالصواب . حتى اولج الدهر سنانه في مقتل العقل . واوقع الغلط حسامه في عنق النقل . فهجم الظلام من خباياه . وبرز الخراب من زواياه . فتاهت الاهالى في هذه الدياجر . وتساقطت في تلك المعاثر . واسترجع الاقبال يسره . واستطلع الادبار عسره حتى غرقت العقول في لجج الجهاله وتمرغت الطباع في بطائح الرذاله . وهكذا قد انقلبت المدن العظيمه . وانمحت الاثار القديمة . واضطربت المتون الراسخه . وهوت السرادق الشامخه . حتى نعب بوم الدمار . ونعق غراب الدثار وما زال ان سلم الشرق نفسة . ورفع الغرب راسه

ياشرق ابا الهدى ترى اين هداك   قد غاب ضياك وانمحى كل بهاك

قد كنتَ لكل ذى ظمى بردروي	ما بالك عدت شاكيًا حر ظماك
بالامس لكل ساقط كنت يدًا	واليوم غدوت ساقطا تحت ضناك
بالامس لكل ذي ضنى كنت قويًا	واليوم غدوت فاقدًا كل قواك
بالامس لكل معشر كنت حمى	ماضاع حماك بل قضى خان حماك
ياشرق ولو عليك مدّت ظلمٌ	لاتطغَ فسوف يغمر النور سماك
الغرب اذا زهى فعن ضوءك ذا	فالصبرُ الصبرَ فغدا رجع ضياك
لاتخشى يا ابا السنى تيه دجى	فالشمس امامك اختفت وهى وراك
ياشرق عطشت بعدما قدسُقيت	من وردك كل فيئةٍ فوق ثراك
ان كان مياهك الجوارى نضبت	لا بد لفيضها فبشراك بذاك
فانهض بحمى عبد العزيز السامي	هذا سلطاننا فهـــذا مولاك

حال الغرب

ما كان العقل ليرضى بانحطاط مراتب اعماله · وسقوط دولة افعاله · ولذلك فريثما كان الشرق يلجُ في الظلماء · كان الغرب يعانق الاضواء · وما لبث ان تبوّأ الغرب صهوة الضحى · وهار نهار الشرق وانمحى · وما زالت مناطق النور تمتد في الغرب ان غمرت القارة · واضحت هناك قارة · وهكذا فتحت الابصار والبصائر · وتنورت الاسرار والسرائر · حتي انتشر العلم والجهل انطوي · وجلس العقل على عرشهِ واستوى · فتكملت المعارف والمفهومات · وتجملت المعقولات والمنقولات · وسقطت الاكاذيب والاباطيل · وهدمت

الخرافات والاضاليل. وارتفعت الحقايق . وتشيدت الطرايق . فلم يعد للفلك احكام . ولا للعين سهام . ولا للجن مسارح . ولا للارواح مراسح ولا للسحر تاثير . ولا للاحلام تفسير . ولا للكيمياء احالةُ بسيط . ولا بين المفقود والموجود وسيط . بل فتوح معقول . وكشف مجهول . وابداع روابط . واختراع ضوابط . وايراد موارد . وارشاد شوارد . وتحصيل ذرايق . وتنصيل طوارق . وتمهيد طرقات وصنايع . وتشييد متاجر وبضايع . فهناك الشمس ثبتت في مقرها . والارض دارت على دايرتها ومحورها . والحكمة لبست ثوب الكمال والاداب وسحبت مطاريف الجلال . والطبيعة فشت اسرار الاجسام . والشريعة فصلت بين الحقايق والاوهام . والكيمياء حررت عناصرها من حكم الاستقصات المتقلبه . واظهرت جواهرها من صدف الاراء المتقلبه . حتى وطدت اصولها . ومكنت فصولها . والطبُّ نشر راياته واعلامه . وكلل بغاير الظفر هامه . فافتتح معاقل الامراض . ورضّ قوارض الاعراض . ان يكن بقوة الاصول العنصريه . او بفواعل الحواصل النباتية . واليدويات تحكمت هناك واستحكمت . وخضعت الاثقال وسلمت قطار الانسان على البخار . واختصر مطولات البحار . وضيق رحبات القفار . واستخدم البرق رسول اخباره . والنور مصور اثاره . وهكذا فقد سطى الانسان الغربي على اجزاء الكاينات وكلياتها . واستخدم مجموعاتها ومفرداتها . حتى تم نقصان الشرقي . ورقى عليه بالضرب والترقي . فلا حيوة الا هنالك . ولا ريب في ذلك . فهناك

الراحة والمراح · والطرب والافراح · والامن والامان · والحسن والاحسان · والثروة والغنى · والخصب والجنا · والمراسح واللهو· والمشاهد والزهو والرقص واللعب · والاغاني والادب · فلا يضج الملل في القلوب · ولا يعج الضجر والكروب · وكل روح ترتاح الى ملاقتها · ولا تحمل نفس فوق طاقتها · حتى اذا كان امرءٌ نضو تعب · وحليف وصب · غارقًا في الاكدار · وخابطًا في الاقدار · فهو يرى ما يعزيه · ولا يرى ما يوءذيه · وبينما كنت ذات ليلةٍ في باريس خائضًا في كتابي · تائهًا بين خطائي وصوابي · وانا حبيسٌ في حجرتي لا انيس لي غير وحدتي · مللت انس تلك الوحدة · ورخاء هذه الشدة · وانفت مُسامرة ذاك النديم الصامت · او الصديق الشامت · فهربت الى الشارع لا اعلم اين انطلق · هربُ الطير من القفص المنغلق · سكران بخمرة التاملات · مهشما تحت مطارق المشكلات · وما زلت ان اوقفني بابٌ كبير · محفوف بحرس التنوير · فلبثت قليلا · ثم دخلت دخيلاً · واذا المحل مرسح رواقص · وملعب عواقص · وما زلت هناك الى ان احترقت ناحية الدجى · والليل الى الغرب التجى · فخرجت اذ ذاك · وها شرح ما رايت هناك ·

ليلة رقص

كفى على هذا الورق اسكب انوار الحدق

العلمُ بحرٌ زاخرٌ وفيه قد طاب الغرق

لكنها للعقل او قاتٌ ووقتٌ للحمق

كذاك للنهار اشـ ... غالٌ وشغلٌ للغسق
ها ملك الليل بدا ... يجلى على عرش الفلق
والغرب قد حاك لهُ ... في الافق برفير الشفق
والشمس حلت في الخبا ... والنجم في الاوج انطلق
وسكن الكل سوى ... نفس ابت الا القلق
نادي الهنا هيًّا فيا ... نفس اركضي فلا زلق
قومي الى نهب الصفا ... ها عَلَمُ الحظ خفق
باريس لما اصبحت ... سما حوت كل الفرَق
وسبيت جهنمٌ ... وبابها قد انغلق
فلنغتنم هذه السما ... قبل زوال المتفق
حتى مَ اخلو جامعا ... في الذهن افكارا عتق
من فاز بالزنبق لا ... يصبو كثيرا للحبق
ومن اصاب اللحم لا ... يقول ليت لى المرق
ومن كسى بخلعة ... هل يفكرنّ بالخلق
سعيًا الى اللذات ما ... دمت على بعض رمق
واركب على خيل الصبى ... واسبق فاجرا سبق
لكل سن مسلكٌ ... له نظامٌ ونسق
فالمرء في الدنيا سدًا ... يحاك والعمرُ شقق
وكل قلب بالمنى ... يبني الى يوم الغلق
ما القلب الاّ شجرٌ ... وما المنى الا الورق

ومنيتي مدينةٌ فيها لي السعدُ برق
اجولُ فيها وعلى فهي مجالٌ للملق
اقطف من لذاتها ماعُدَّ لي وما اتفق
وفي لظى شبيبتي كل اسىً قد احترق
لا ارعوي ولو عوى كل عذول او نهق
وليلةٍ سوادها كالمسك بالطيب عبق
اوحى اليَّ الوقت ان اطوفها دون رفق
فرحت اجري والدجى يزيد فوقي من حنق
مهرولاً كانني اسعي لدينٍ مستحق
ما زلت حتى صرت في مغني على المغني انطبق
كانه بحرٌ بهِ تموج ربات الحلق
فخضتُ فيه وانا اشقٍ امواج الخرق
اذا بصوت قال لى مهلاً اما تخشى الغرق
كم انت ياهذا قبا قلت كذا كل قبق
فصار يهجو ابهتى وطول ثوبي ذي اللبق
بكل لفظٍ شاردٍ وكل معنى لم يطق
فلم ازل مطولاً عليه بالى ان مزق
وليت منى الا بتدا فالضرب للذي سبق
قلت له ما تستحي ياقفصاً تحت طبق
اوقصبة في سلةٍ اوخنصراً في مخنق

قال وهل نحن الذي بالأزرِ شوَّهنا الخلق
رُح يافتى من فئةٍ نساءوها مثل الحقق
ومن زوايا سقرٍ جمالهنّ مسترق
فالشعر حيات سعت والخد نيران الحرق
والصدغ يدعى عقربًا والخال دودًا اوعلق
والوجه يدعى عندكم بدرًا اتهوون البهق
ولم نزل في جدل وبيننا يجري العرق
حتي انتهينا اخرًا للوفق والوفق احق
والجمع قد قال لنا كلٌ بما قال صدق
وربَّ خيرٍ جاء من ضدٍ مع الضد اتفق
واذ جلسنا والقلا هار بزلزال القلق
اذا غزالٌ جانبي يغزو فوادي بالحدق
كانهُ مكوّنٌ من جوهرٍ لا من علق
يفترُّ عن ظرافةٍ منها سنى الحسن انبثق
ويثنى عن قامة غصن الهوى منها بثق
مَن لي بها رشاقةً شاقت ومكحولًا رشق
يطرق في الارض ومن مبسمه الشوق اندفق
فناظرٌ يرعى الحيا ومبسمٌ يرعى الشبق
ولم يزل طير الهوى يصدح في دوح الارق
ونحن في تمازج والجنب بالجنب التصق

حتى مَ تخى للنوى فقلتُ لا ومن خلق
فقال ها الصبح بدا قلت ولو كان انفلق
ولم نقم حتى اختفي دخان مركب الغسق
ولاح سلطان النها رِ لابساً تاج الالق
والشهب من شرارهِ قدذبن والليل احترق
هنـا افترقنـا وانا امشى وعيني بالطبق

فها خيم التمام على الغرب وعم فتامل زوالا اذا قيل تم. او ما ترى النزاع بدا يسعى بين مله. والحسد بين دوله. فكلٌ وقف على قدم الطراد. وفغر فم الفسـاد. مكدوداً براده. ومعموداً بعناده. وهذا دليل الدمار. وطليعة الدثار. ولا بدع فالشرق اخذ يطلب ماله. ليسترجع ماله. وما الزيادة الا الفـايدة المكرره. صلاحة في الدين مقرره. وها قد استرجع الشرق متاعه. ورفع سنجقه وشراعه. وذلك على عهد عظمة سلطاننا عبد العزيز. ذي الشوكة والسطوة والادارة والدراية والتمييز. مبدع هذا العصر الزاهر. وجامع نفـايس الاوايل والاواخر. وقد قلت تاريخاً لجلوس عظمته على عرش السلطنة السنية.

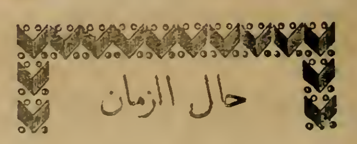
تاريخ الجلوس الهمايوني

بشراً لكم بالفوز يا كلَّ البشر فالدهر عن وجه المكارم قد سفر
ولتنعمنَّ نفوسكم فاليوم قد لاحت شموس العز من فلك القدر
اهدى العزيز لنا الخليفة عبده من كان في عثمان كنزاً مدَّخر

فاهتزّت الدنيا به فرحًا وقد طُوِي الاسى والسعد كالسحب انتشر
وبدت بجود الملك بارقةُ الهنا وهمى على الافاق من نعمٍ مطر
وافترّ ثغر الدهر عن شنب الصفا فصفت لنا الايام واندثر الكدر
ملكٌ على عرش الخلافة مذ على ظهر النعيم وحاز عزاً من صغر
كل الملوكِ كواكبٌ لكنما عبد العزيز لكلهم شمساً ظهر
قد زيّن التخت العليّ بمجده ابداً كما قد زيّن الطرف الحور
بالعدل كسرى والتسلط قيصرٌ وذكا سليمان به وقوى عمر
نامت عيون الناس تحت ظلاله امناً وبات لحفظه يرعى السهر
فيه غدا غصن التمني معطياً ثمر النجاح وكلنا نجنى الثمر
اخلى قلوب الشعب من خوف الردى واحلّ فيها الرعب منه والحذر
لكم الهنا يا خاضعون لحكمهِ فلقد ظفرتم بالرجاء المنتظر
قد سدّ طرق النايبات بحزمهِ عن ساحة الملك الذي فيه ازدهر
واذا تولىّ الملك ملكٌ حازمٌ لا يتركنّ به سبيلاً للضرر
كتب القضاء على صفاح سيوفه لا عيش للعاصي اذا السيف اشتهر
قد البست كل البلاد يمينه حلل الامان وقد نضت عنها الخطر
فاعاد ما هدم الزمان مشيداً بعزيمة تحكي الزمان اذا اقتدر
وبنى من النعماء حصناً للورى هذه هي الجدوى فقل نعم الاثر
فلتسعد الدنيا به ولتبتهج كل الملا ولتفرح الدول الاخر
كن يا امير المومنين مسربلاً بالفوز ما غنى الهزار على الشجر
ما انت الا الشمس في اوج العلا واليك كالحرباء كلٌ قد نظر

ان المهيمن مذ دعاك خليفةً في الارض كى ترعى الانام بما امر
نادي لديك العرش عش ياذا القوى والدهر قال مورخا سد بالظفر

سنة ١٢٧٧



حال الزمان

هذا هو الرب القادر . والاسدُ الكاسر . والحسام الباتر . هذا هو الخصم والحَكم . والحرب والسَلم . والسيف والقلم . هذا هو الداء والدواء . والنعيم والشقاء . والراحة والعياء . هذا هو العدوّ والصاحب والمطلوب والطالب . والمنهوب والناهب . هذا هو الحق والزور . والخير والشرور . والحزن والسرور . هذا هو الميزان والاوزان . والرجحان والنقصان . والطاعة والعصيان . هذا هو الظهور والخفاء والخيانة والوفا . والكدر والصفا . هذا هو الوجوم والابتسام . والثواب والانتقام . والحلال والحرام . هذا هو الباب والطريق . والوحدة والرفيق . والفرج والضيق . هذا هو الزمان الغلاب . والشيخ المهاب . كاسر الاكاسره . قاصر القياصره . رافع الوضيع . خافض الرفيع . مفقر الاغنيا . مغني الفقرا . كاشف الاسرار . هاتك الاستار . ترجمان النوايا . قهرمان العنايا . دهقان الخبايا . محتِدُ البلايا . اذا فرّح احزن . وان قوّي اوهن ومتي منح امحن . فلا يضرب الا ليكف . ولا ينتقم الا ليعف . ولا يواسي الا ليئسي . ولا يذكِّر الا لينبي . ولا يجمع الا لينسخ ولا يسدل الا ليزيح . ولا ياخذ الا ليعطي . ولا يهب الا [illegible] . ولا

يحصد الا ليزرع . ولا يمنح الا ليمنع . ولا يعدل الا ليظلم . ولا يبنى الا ليهدم . ولا يرشد الا ليضل . ولا يلهى الا ليمل . ففيه اللهو والملل . والخيبة والامل . والرئ والظماء . والشدة والرخاء . والثبوت والتقلب . والتهقرة والتغلب . ايان طال صال . واينما طلب نال . وحيثما رمى اصاب . وكلما اكدّ اراب . فتركه طلب . وهدوءُ شغب . وصلاحه فساد . ونومه سهاد . ويقظتهُ رقاد . وحلمه جور . ونجده غور . وسلسله دور . وسلمه قتال . ودوامه محال . ومن شانهِ انهُ كلما اعطى اطمع . وكلما طيّب افجع . وما دهاني بهِ في غاليه . ما دعاني لهذه الاقوال التاليه .

سطوة الزمان

جئتُ ارض الغيث كي اطفي الصدا فطفت عزمى وزادت عطشى
واطاشتني فصحتُ المدا يالراسٍ عمرهُ لم يطشِ

دور

لم اجد والله في هذه البلاد غير داء لى وللغير دوا
ذقت فيها كل كاسات النكاد وكذا غيري من البشر ارتوى
وبها الدهر كسانى بالحداد وكسى الكل باثواب الغوى
يافوادي قد جرى فيك الردى فعلى هذا الردي متْ او عشِ
واصطبر او فاختبط كل سدى قضى الامرُ فلا تلتطشِ

دور

لستُ لا والله ادرى جنحتى لا لدى الله ولا عند البشر

غير اني سالكٌ في دعوتي ولكل مسلكٌ فيه اشتهر
فرمى الدهرُ اغتيالاً همتي بنبال الغدر ياقوم الحذر
ذلك الدهرُ لنا شرُّ العدي سارقٌ لكنه لا يختشي
يرعش الدنيا اذا القى يدا وهو شيخٌ اخرس لم يرتعشِ

دور

ياقومي في صباحي والمسا أُسدُ الخطبِ لقلبي تفترسُ
قد اعادتني اصماً اخرسا في ربوعٍ فاهَ فيها الاخرسُ
ما احتيالُ المرءِ في حكم الاسى مشكلٌ تحتارُ منه الانفسُ
قيل صبرا قلت والصبر غدا صاحب الدهر ومنهُ مرتشي
وكذا العقل الذي منه الهدى صار كالطفلِ كثير الطيشِ

دور

ان مَن كان الشقا قسمتهُ لا يري الا الشقا اين سري
لا يري في الارض الا مقتهُ كيفما جدّ عليها وجري
واخو السعدِ يرى نعمتهُ اينما سار وانّى خطرا
رُبَّ ذي عجزٍ له فاض الندى واخي عزمٍ قضى في عطشِ
ما ترى الهرَّ يعيشُ الرغدا ويصاد النمرُ ضمن الحرشِ

دور

قد قطعتُ الان امالَ الشفا بعدما جرَّبت كل الادويه
هُدم البيت واقوي وعفا هكذا غاية كل الابنيه
فطبيبُ اليأس حسبي وكفا انَّ في اليأس لكلٍ تعزيه

لا يغرنَّ الفتى يومٌ بدا ابيضًا في زمنٍ كالحبشي
فامام الدهر كلٌ وُجِدا مثل عصفورٍ امام الحنشِ

دور

كلنا نحن بني هذا الوجود نشرب السمَّ بكاسات الذهب
تظهر الدنيا لنا ماء الورود فنداينها فتسقينا النكب
تركها اولى فلا كان الوفود نحو خوّانٍ اذا اعطى نهب
ليس من امنٍ لحيٍّ ابدا من زمانٍ جايعٍ مستوحشِ
فاحذروا ياناس هذا الاسدا ايُّ نابٍ في الطوى لم ينهشِ

دور

تفرح الاباء في حظوى البنين فرح الصاحى باقبال المدام
ما صراخ الطفل في اول حين غير قولٍ جئتُ فاذهب بسلام
لو درى ما النور في الدنيا الجنين فضَّل الاجهاض واستحلى الظلام
حرِّم القتلُ فمثلٌ او فدا والورى عن ذا القضا في طرشِ
كلما للدهر اعطوا ولدا ساقهُ للذبح مثل الكبشِ

دور

يا ابي نمْ آمنًا في ذا التراب فعلى ذي الارض جاتَ نوبتى
قد خلصت الان من هذا العذاب بعدما اثبتَّ فيهِ وقعتى
دمعك المهراق ما غاص وغاب عنك لولا دورهُ في مقلتى
فاهنيك بموتٍ انجدا آه لو ترثي لعيشي المتشى
طبْ فما عدت تقاسي نكدا قد اتى دوري فياموت ابطشِ

دور

وكذا يا امرُ اوجاع المخاض   كنّ رمزًا عن مصابي المقبلِ
انتِ قد ارضعتنى ذاك البياض   لدخولى في سوادِ الاجلِ
خطتِ لى اقمطة قبل المباض   لم تكن غير قيودي الأولِ
منذ مــا البستنى هـذا الردا   حاك لي الدهر لباس الفحشِ
واعدّ السهد لى والكمدا   منذ تبسيمكِ لى في المفرشِ

دور

كم بكت عينكِ دمعًا كالدما   كلما تنظر عينى في ارق
اه لو تنظرنى الان وما   في فوادي من لهيب وحرق
فاستريحي الان بالموت فما   اتعب العيش على ذاك القلق
واتركينى باكيًا طول المدى   خابطًا وحدي رفيق الرعشِ
ضايعًا في غربتى مبتعداً   صارخًا ياسعد من لم يعشِ

دور

فانا ابكيكما ياوالدي   بدموع ما بكاها احدُ
انّ في موتكما القاسى لدى   مات حقًا سندى والعضدُ
اى شئ عوضٌ لى اى شي   وجميع الارض لى تضطهدُ
ولذا صرتُ فتىً منفردا   انظر الدنيا نظير البرغشِ
ارتجى في خلواتى الصمدا   فسواهُ ليس لى من منعشِ

وايضًا قلت في جور الزمان

حتى مَ هذا الزمان يفتك بي   حتى مَ يجرى علىّ بالنكبِ

ويلاه لم يروَ من دماي فلو مستسقيا كان لارتوي وابي
فما احتيالي واين اهرب من دهر اليهِ المصيرُ بالهربِ
دهرٌ لذى الامتلاء كل سخا وكل محلٍ لكل ذي سغبِ
كعارضٍ غرّق السباخ ولم يسقى الاراضى التى على لغبِ
والدهر اعمى العيون وهو على سبل الورى قايدٌ فواعجبى
بئس الليالي التى اثرن على قلبى خطوب الحروب والنوبِ
كسفن شمسي على الضحى وكذا خسفن بدرى وليس في الذنبِ
للهِ كم بتُّ والشؤون على خدىَّ بنسجنَ حلّة الكربِ
والليلَ يلقى رماد ظلمتهِ فى الشرق فوق الصباح ذى اللهبِ
ما لليالى غدرن بي اترى زعمتنى ثايرًا على الخطبِ
وما لدهري اتى يطاردني هل ظنَّ انى مطارد الحبِ
فلينعم الان كل ذى نعمٍ فالدهر لاه علىَّ بالغضبِ
وهكذا ذى الحيوة جاريةً ذا فيِ اضطرابٍ وذاك في طربِ
ياايها الدهرُ لا بلغت منى الى م ايدي سباك تلعبُ بى
اقمت بى دار ندوة جمعت كل البلا خبتَ يا ابا لهبِ
فانت خصمٌ لكل ذي طمعٍ وانت ضدٌّ لكل ذى طلبِ
وانت للهدم والدثار ابٌ وانت امٌّ لكل منقلبِ
وانت شيخٌ وانت ذي حكم وانت تسعي لجاهل وصبى
فكم مدارٍ يصيح ضدك يا جانٍ وكم مركزٍ وكم قطبِ
وكم بلادٍ وكم قرىً وورى حتى وكم انجمٍ وكم شهبِ

فلا معينٌ لنا عليك سوي سوم الرضى في الهنا وفي الوصبِ
ان الرضى تارةً يجرُّ منىً والصبر طوراً يجيءُ بالاربِ
صبرتُ حتى العياءُ غار على صبرى ولولا العنا لكان سبى
وانفس الصابرين قد خلقت مقاومات لاثقل النكبِ
وكل بلواى جهل دهري بى دهرٌ به ضاع اجرُ ذى الادبِ
والجهلُ ليلٌ اذا فشا سرقت فيهِ اجور النهى بلا تعبِ

وقلت ايضاً استغاثةً بالله

عظمت عليَّ نوائب الدنياء والدهر قابلنى بكل بلاء
وغدوت فوق الارض ريشة طائرٍ سقطت امام عواصف الاهواء
اياّنَ سرتُ رايت كل مصيبة عُظمى تهددنى بقطع رجاءي
فاودُّ ان اهوي الزمان عسى اري تعذيبهُ عذباً على احشاءى
فكأن قلبي صار عضواً المشقا والحزن لا لعيالة الاعضاء
قلبٌ ابى دفع الدما الاّ الى عيني لتطفي نارهُ ببكاءى
ابكى اضجُّ انوحُ اذ لا سامعٌ غير الدجى والريح والانواء
فدعوتُ من لم يدع دون اجابة فرثى لحالى واستجاب دعاءي
ان كنت صنع يديك ياربي فلا ادعو سواك ففي يديك شفاءي
انت العليمُ بما جنيتُ به فلا اشكو لغيرك يارحيم ضناءي
يارب قد دارت عليَّ دوايرٌ سودٌ وعدت فريسة النكباء
يارب قد قهر الزمان عزايمي فاقهر زمان القهر يامولاءي
زمنٌ قد استسقي بكل مكيدة وغدا على ولعٍ بشرب دماءى

صرعتني المحنُ الشداد فمدّ لي ‏ يدكَ الشديدة يا ابا الضعفاء
محنٌ تعاظم فتكها وصراعها ‏ فافتك بها يا اعظم العظماء
يامنقذاً ايوب من بلوائه ‏ بالصبر فانقذني من البلواء
اذناك سامعتان اصواتي كذا ‏ عيناك ناظرتان حال عنائي
ان كان سخطك صار داءً لي فلا ‏ ريبٌ سالتي من رضاك دوائي
انت العليم بلى بضعف طبيعتي ‏ وانا العليم نعم بعظم خطائي
اغصان حلمك دانيات قطوفها ‏ وجنان عفوك فائح الارجاء
عبدٌ الى مولاه مدّ يد الرجا ‏ حاشا يردّ بقسوة وجفاء
عبدٌ راي في قلبه رباً له ‏ رؤياهُ شمس الكون في العلياء
فانحاز يقرع صدره طلب الندى ‏ قرع الفقير لباب ربِ غناء
اني علمت وجود باري الخلق من ‏ ايجاء نفسي لا من الايحاء
ان كنت موجوداً فربٌ موجدي ‏ هيهات مبروءٌ بلا ابراء
ها كافة الاشياء تدعو كل ذي ‏ عقلٍ ليعبد مبدع الاشياء
من ذا الذي سوّى السماء وصاغها ‏ وكسى الكواكب حلة الاضواء
من ذا الذي دهق الفضا بعوالم ‏ جلّت عن التعداد والاحصاء
بعوالمٍ صيغت باحسن صيغةٍ ‏ وجرت بكل شريعةٍ غرّاء
من ذا الذي جعل الجماد مجهزاً ‏ قوت الحيوة وقوةَ الاحياء
من ذا الذي اعطي النبات طبيعة ‏ منها الى الحيوان كل عطاء
من ذا الذي قد صيّر الحيوان ان ‏ يدري المحيط به بلا استثناء
متحركاً بارادةٍ متمتعاً ‏ بوجوده متطاوع الاجزاء

من ذا الذي من ذلك الحيوان قد سوّى كيانًا فاق كل سواء
اعنى بهِ الانسان سيد جنسهِ راس الخليقة مالك الحوباء
من ذا الذي اعطاه كل خليقة وحباهُ اعظم قدرة وسطاء
اعطاهُ ان يسطو على كل وان يستخدم الاشياء بالاشياء
اعطاهُ فهمًا ادرك الاشيا به وابان ذا عن ذاك بالاسماء
اعطاهُ ذكرًا يستطير به على متن الضمير الى اشمّ سماء
ذكرًا بقوتهِ يرى في قلبهِ صوَر الحوادث في الزمان النائي
فمن الذي قد صاغ هذا كله من حيث ليس سوى سكون فضاء
ذا خالقٌ متحجبٌ في ذاته ويرى الجميع وما له من رائي
ربٌ كبيرٌ قادرٌ متسلطٌ منهُ الحيوة ومنهُ كل سخاء
فيهِ استغثت على جميع مصايبي وعليهِ قد القيت كل رجائي
وكذاك ارجوهُ يمنُّ عليّ ان اطفي بماء قويق حرّ ظمائي
واعافُ نهر السين فهو لذي الظما ملحٌ اجاجٌ معطش الاحشاء
حيث الغريب يرى الجنان بعينه وفؤادهُ يصلى بنار لظاء
لا ناقةٌ ابدًا له كلا ولا جملٌ ولا حصباء في بطحاء
فمتى ارى الاظعان تعدو بي على سمعان حيث مطالع الشهباء
واري رؤوس السرو تدعوني الى ان استطيب نسائم الزوراء
كلٌ يميل الى مساقط راسه ميل الرضيع الى لقا الاثداء
فانا الي حلب اميل صبابة ابدًا وان اكُ في سما الدنياء
بلدٌ لراسي مسقطٌ وبها اري اهلي واصحابي وآل ولائي

للوحش اوكارٌ وللاطيار اشه جارٌ وللاسماك لجٌّ الماء
لا يزأرنَّ الليثُ في دوح ولا يترنمُ القمريُّ في البيداء
والجرف للظبي الغرير احب من قفصٍ من البلور ذي اللالاء
كلٌّ لنغمة ارضه يصبو ولا يلوي سوي ذي فطرة صماء
فمتى اري جبل الكام يمدُّ لي باعًا يطول علي جبال التاي
حيث الطبيعة بالطبيعة زينت حتي اغتنت عن صنعةٍ وعناء
حيث السما وفت الفصول فما اتت بشتاء صيفٍ او بصيفِ شتاء
حيث المناخ كسي الثري بل والوري ثوب النعيم فكان خير كساء
ان المليحة من تجل بحسنها عن صقل عرقوبٍ ورثم رداء
وبكل ارضٍ افةٌ تجري على قدر المألوفِ وقدرة الاجراء
فالعمرُ سوقٌ والخطوب بضايعٌ والدهر فيه يبيع دون شراء
ان العذوبة في الحيوة عذابها كوعود معشوقٍ بدون وفاء
فتبسُّم المفقود رمز خلاصهِ وتوسمُ المولود رمز بلاء
والدهر اعمى وهو دالول الوري واصمُّ وهو يرنُّ بالارزاء

وقلت ندبًا لفعل الحوادث

هل عاد عندك يازمان بعادي خطبٌ تعاندني به وتعادي
لاعدت اجزع منك اذ قداُفرغت كل الكنانةِ في صميم فوادي
لم يبق عندك ما تروِّعني بهِ غير المنيَّة وهي جلُّ مرادي
اشكوك يادهري واني عالمٌ شكواي تذهبُ صرخة في وادي
وكذا اناديك الدوام وانني ادري بانك لا تجيب منادي

لي معك يوم العرض وقفة مشتك ... ياظالماً وعديم كل رشاد
يادهرُ لِمْ كسَّرتَ كل ظباك في ... عنقي لحاك الله من جلاَّد
اترى انا وحدى عدوك في الملا ... يامن له كل الانام اعادي
اعدمتني كل الهنا وتركتنى ... متغرباً عن معشري وبلادي
وحكمت ان اقضى الحيوة شقاً وان ... أرعى الاسى كمدا ليوم معادي
ومنعت عني المنجدين فلو بدوا ... لي في المنام لرمتَ منع رقادي
سحقاً لعمرٍ كل يومٍ منه لي ... موتٌ وقايعهُ بلا تعدادِ
ما اجتنى فيه سوي سحبٍ وما ... نفسي سوي لهبٍ وقدح زنادِ
يبدو الصباح لكل عين ابيضاً ... ولاعيني متوشحاً بسوادِ
والشمس عند شروقها تلقى على ... كل الطبيعة حلة الاسعادِ
لكن ابت تلقى عليَّ سوي اللظى ... وابي يراها الطرف غير رمادِ
واحسرتى نفخ الزمان بلمتى ... شيباً تداخل في شباب بادي
والعمر في زمن الصبا زهر الربى ... للكل لكن لي كشوك قتادِ
قد كنت خلو البال لا اهوى سوى ... قبضى لاقلامي وبسط مدادي
وقطوف اغصان الشباب دوانياً ... وتنقلي من زينبٍ لسعادِ
فغدوت اروغَ من ثعالةَ في العنا ... واضل من مهرٍ بغير قيادِ
لم ادرِ قط من الشقا الا اسمهُ ... حتى تصرَّفَ فعله بفؤادي
قد كان يحسدنى على دهري الورى ... والان صرتُ انا من الحسادِ
واشدُّ ما قاسيتُ من الم البلى ... ضجرٌ يرافقنى بكل عنادِ
فكانهُ ملَكٌ يروم وقايتى ... لكن من الاصلاح لا الافسادِ

ايَّانَ سرتُ اراه نصبَ لواحظي ابدا واين ظعنتُ فهو الحادي
وهو الكرى وخيالهُ في اعيني ولربما هو مضجعي ووسادي
من لي به بطلا يطاردني بلا حلمٍ وما انا من رجال طراد
قردٌ قبيحٌ لم يجزْ قفصاً سوى قلبي ولم اكُ قط بالقرّاد
بعداً له تغلا شنيعاً امهُ بنت الشقا وابوهُ ابن جهاد
او ذاك حظي منك ياباريس يا دار الهناء ودارة الاعيادِ
وعلامَ اسندُ ان اقل هنا لي هنا والحكم مردودٌ بلا اسنادِ
ما هذه الدنيا وما هذا الملا ما القصد في الاعدام والايجاد
ماذا الحيوةُ وما الممات وما الوجودُ وما النفوس تضجُّ في الاجسادِ
اني رايتُ الكلَّ شيئًا واحدا يجري كصوت واحد الترداد
مع ان ذا ضدٌ لذا والكون ان يثبت فذا بتنازع الاضداد
فعلمتُ انَّ عنايةً علويةً للكل مثل الام للاولاد
واذا وفاقٌ قام في اجناسه فالخلق في الانواع والافراد
لكن مللتُ دوام صوت واحد ملل السماع مطارق الحداد
ورايت ان الارض تيهٌ مظلم وبه الورى تسعى بلا ارشاد
ياصاحب الدنيا حذار حذار ان عادتكَ يومًا فهي شرٌّ معادي
انثى فلا يرجى ثباتٌ عندها تبغي الوداد ولم تقم بودادِ

حال العلم

ولما كان العقل مطبوعًا على الاكتساب . وحاويًا ملكة التمييز

بين الخطاء والصواب . اوعزت اليه دواعي الحركات الذهنية . وبواعث الحيوة البدنية . واللوازم الدينية . ان يرتب تصوراته ويهذبها . ويجمل دلايلها النطقية ويوءديها . وان يبحث في الموجودات ويستقصيها . فيدنيها اليه او يقصيها . حتى يستخدم ما طاب له وسر . ويطرد ما خبث وضر . فيستعين بالجوامد على حيوياته . وبالماديات على روحياته . وان يعرف الخالق من المخلوق . والصانع من المصنوع والموجد من الموجود . كمعرفة الوالد من المولود . وهكذا فقد نشاء العلم . وقام الفهم . فالعلم ريحانة النفوس . وروح قدوس . به تنشر الافكار . وتبصر الابصار . وتكشف الاسرار . وتجل السراير . وتبرز الضماير . وتسمو العنايا . وتصفو النوايا . وبحسنه تحسن الصفات . وبكماله تكمل الذوات . وهو الكنز الذي لا يفنى . والجمال الذي لا يشنى . قوة الكبير . سند الصغير . زخر الفقير . فمن حازه حاز الجلال ولو كان حقيرًا . والكبر ولو كان صغيراً والثروة ولو كان فقيرًا . والعتق ولو كان اسيراً . والسطوة ولو كان ضعيفًا . واللطف ولو كان كثيفًا . والعز ولو كان ذليلاً . والصحة ولو كان عليلاً والقبول ولو كان رذيلاً . والدخول ولو كان دخيلاً . فيه ارتقى الانسان ونجح . وتجلل وفلح . واصبح اعظم الكاينات . واجود الموجودات والخيرات اتسعت . والاضرار امتنعت . والنفوس غلت . والحيوة حلت . والممالك شيدت . والمداين تسيدت . والصنايع عمت . والفلاحة نمت . والمتاجر انتشرت . والاخطار اندثرت . والطبيعة خضعت

ودنت. والعاصيات طاعت وعنت. والافات غُلبت. والنوائب سُلبت. والمعاملات شاعت. والمعامل زاعت. والسياسة صلحت وتجملت. والاحكام عدلت وتكملت. ولم يعد المظلم مداو. ولا للجور جوار. فما العلم الا جمال الانسان وكمال الاذهان.

اما العلم فهو لذةٌ ثابتة للعالم. وتعزية له في الام العوالم. وبينما ذلك فلا يخلو من النكد. والنفث في العقد. على ان العالم. لا يبرح متبلبل البال. قلق الحال. لا يسكت لبّه. ولا يسكن قلبه ولا تهجع افكاره. ولا تصمت اذكاره. فنومه ارق. وسكينته قلق. وراحته تعب ووصب. وجهاد ونصب. وسروره غموم. وضحكه وجوم. فيرى الدنيا مطارح تعاذيب. ومسارح اكاذيب. فاذا اعتبرته لا يعتبرها. واذا عرفته ينكرها. لانه لا يحفل بكل الاشياء. ولا يعبأ بحركات الاحياء. فالمراتب عنده مكارب. والمناصب مغاصب. والاموال اثقال. والاحسان قيل وقال

وهاك مقالي الى طالب علمٍ

يا غصن فضلٍ بدا من اطيب الشجرِ	عرفتُ اصلك مما فيك من ثمرِ
وانت في الدوح تجنى جودة القدرِ	تجنى اجلُّ ثمارٍ منك ناضجةً
يا ايها الغصن واخطر امن الخطرِ	فكن الى كبد العلياء متصلا
يرى النقي والتقى خيرًا من الدررِ	لمثل شخصك حق المدح من رجلٍ
لا باللآلى ويذرى التاج بالشعرِ	فالمرءُ يذكرُ بالالاء جانبهُ
به المقادير من مصرٍ فخذ وسرِ	اتيت تسترجع العلم الذي شردت

تسلسل العلم من مصرٍ الى عجمٍ ... للروم للعرب ِ اللافرنج فليدرِ
وان تعكر بالاراء لا ضررٌ ... فربُ نفعٍ اتى من موقع الضررِ
فالنيل وهو عكير الوجه يطفح في ... مصرٍ ويودع فيها اروق الاثرِ
فاستقبل العلم مفتوح البصيرة كي ... يمرّ فيها مرور الطلع في الزهر
فالعلم في راس من ضاعت بصيرته ... مثل السراج بايدى ضايع البصرِ
هنا قد افتتحوا دنيا العلوم بلا ... شوم نظير افتتاح الشام من عمرِ
فاغنم فلاح افتتاحٍ عزّ مطلبه ... وكن عليهِ على نصر على ظفرِ
عهدي بمثلك يقضى الليل معتنقاً ... عطف الكتاب ولم يسام من السهرِ
وانت غضٌ الصبا كالغصن واعجباً ... لا تنحنى تحت اثقالٍ من الثمرِ
هذا سلوكٌ عجيبٌ ما له مثلٌ ... كما بدا لى من امثالك الكثرِ
فكن اذاً مستريح البال سوف تري ... عليك يهمى جزاء الجد كالمطرِ
ولا معابٌ لاقيال الديار سوي ... صول وطول وكف هاملٍ همرِ
يشكون في مصر دهر النايبات ولا ... اري بمصر سوي الخيرات والبدرِ
كلٌ على الدهر بالشكوى يضجُ ولا ... ذهرٌ سوى بشرٍ ضجت على بشرِ
وكم من الناس يشكو الانكسار على ... خبث وكم كاسرٍ في زى منكسر
ياصاحبي ياصديقي ياامين على ... عهد الولا وارد النعمى بلا اصدرِ
كن شامل الامن من ارصاد ذى نكد ... ولا تخف قط سحر الحاسد الخطرِ
فمن صباح العنايا انت في سحر ... وليس يثبت فعل السحرِ في السحرِ
وان ظهرتَ لدى الحساد ذا قدمٍ ... بلا قدوم فذا من افة النظرِ
وتحسب الارض والاجبال جامدة ... بينا تمرٌ مرور السحْب والغدرِ

ها انت في رتبة عليا وفي شرف سام وفي سيرةٍ من احسن السير
رمتَ التصاغرَ لما قد علوت فسم اوجًا فهذا اتضاعٌ موجب الكبرِ
فالبدر يصغر ما يعلو ويكبر ما يدنو وفي الحالتين الاوج للقمر
علمتُ حقك فاستحسنت مدحك ما بين الورى فاغتنم وصل ابنة الفكرِ
ولا تقل بئس شعرٌ جاءَ من رجل في دينهِ اقبل الرحمن في صورِ
بلي انا من بني عيسى وما منعت هذه الكناية كوني ناظم الدررِ
قل لي متى غيرَّ الدين الطبيعة او حبا اعتبارًا لشيءٍ غير معتبرِ
هذا والافخير الدين يوخذ من خير الانام وحكم العين بالاثرِ

حال الجهل

اما الجهل فهو عدم العلم وآفته . وقاعدة التوحش ودعامته وعلامته ورايته . وما الانسان انسان الا بالعلم . و وحش ضار بالجهل الملم . فالجهل عثرة الساير . و وعكة الحاير . وعماء الناظر . وتيه الضايع . وخرس الناطق . وصمم السامع . وانيما حلَّ وحلت الملايح . ونزلت القبايح . وسقط الغار . ونهض العار . وسكتت صوادح الفطن والفكر . ونطقت جوارح العيّ والحصر . ونكس راس المعلوم والمقبول وشمخ انف المجهول والمرذول . ووقح الاجدع . ونسلح الاكتع . وسبق ذو القزل . واصاب ذو الشغل . واغنى اللئيم وافتقر الكريم . وهار الندى والصواب . وتناء الخطا والمعاب . وتتوج راس الاسير وتقيدت رجل الامير

اذا حكم الخطا قتل الصواب فلا شرعٌ هناك ولا كتابُ
واعلم ذا المــلا يعنو ويدنو واجهلهم يسود ويستهابُ
فلا عجبٌ اذا ما السحب هارت ولا بدعٌ اذا شيد الضبابُ
وللحصباء في البطحاء ربٌّ وفي العلياء للشهب التهابُ
ولكنَّ الحصا للوطي عُدَّت وللجليان قد عدَّ الشهابُ
فما للجاهلين سوي افتقارٍ ولو تبراً لهم عاد الـتـرابُ
وما لذوى النهى الا ارتواءٌ ولو اجري اللظى لهمُ السحابُ
فما نفع الجهول غداة خطبٍ واين نراه ان جدَّ الطلابُ
اذا حاز الغنى اضحى اثيما ولبس يروقهُ الا الخرابُ
يجدُّ وراء كل ردى وشرٍ ويُنصب كلما خفضت رقابُ
لان الجهل يورثُ كل طبعٍ قبيحٍ فالجهول اذاً مصابُ
وان اعطي السيادة وفق دهرٍ بغى ولبيغهِ شاب الغرابُ
فتنحبُ يوم ميتتهِ المعاصي وتبج يوم مولده الكلابُ
فيحيي اثمــا ويموت كفرا وينشر كي يداهيه العقابُ
ولكن ذو النهى غوثٌ لكلٍ وغيثٌ لا يكف له انصبابُ
اذا خان الزمان هو الموافي وعند المشكلات هو الصوابُ
وان فقر أغنى واذا أغتنى لم يعد بسوى مكارمهِ يعـابُ

اما الجهل فهو مصيبة الجاهل . وعطشه في المناهل . ومع ذلك فلا يبرح الجاهل صاحب الفرح . عدو الترح ساكن البال . رايق الحال . مرتاح اللب . خالى القلب . يبسم مدى الدهر . ويقهقه في كل امر .

ولا يعبأ الا بالحال . ولا يفكر الا بالمحال . فتراه هايماً بالاموال . وضارباً في وادي الامال . يتوقع المراتب ولو بعدت عنه ويستعطف المناصب ولو نفرت منه . ويستحب الباغض . ويستفتح القابض . وربما تقلد السيف وهو الجبان . وطلب الكرامة وهو المهان . وقد جرى ما جرى . فقلت لمن درى . وفي كل ميدان مجال . ولكل مقام مقال

اسيرٌ ينادى العنق يادهر لبهِ حبوهُ حلى التشريف لكن لسبهِ

ارى الظبي لا يشتاق الا كناسهُ وذا الجنح لا يلتذ الا بقضبهِ

ففى قفص البلور للطير سجنه وللظبي في صرح العلا كل كربهِ

وهبك وثاق الاسر صيغ من الندى فهل لاسيرٍ غلَّ فيه روًى بهِ

فما لامرءٍ عيشٌ سوى بين قومه ولا محسنٌ للمرء غير محبهِ

ايخدعني خصمي بحلو كلامه اذا كان مرّ البغض يجرى بقلبهِ

وما هو الا الغبن ان يقبل الفتى سلام الذي لا يرتضي غير حربهِ

ومن صغرٍ في النفس بسط امرءٍ يدا لمنحة من لم يسع الا بسلبهِ

وكم سارقٍ اغرى صغيراً بفلسه لينتال ديناراً راهُ بعبهِ

اذا كان لى يوماً لسانٌ أقل ولا اخاف وما خوف الفتى غير شجبهِ

ولا ريب ان الموت خيرٌ لعاقلٍ يعيش أسيرا للعدوّ وصحبهِ

اذا كنت ذا عضبٍ فكن ربَّ ساعدٍ والا فخلّ المشرفيَّ لربهِ

ومن لم يكن للسيف اهلا فلم يكن على جنبهِ ذا السيف الا لضربهِ

حال التمدن

كل حال، تدور على هذه الحال. فهى قطب كل الاحوال. ولا باسط لحقايق التمدن الجليل. ابلغ من تلاوة الانجيل. فهناك التمدن وقراره. ومحوره ومداره. هناك يقوم تاديب الطبيعه. وتهذيب الشريعه واصلاح السيره. وفلاح السريره. وتبادل الحب والولا. وتراضي البغض والقلا. ومحبة القريب. واجارة الغريب. وصلة الفقير. ومواصلة الصغير. وعيادة المريض. ومواساة المهيض. وزيارة الاسير. وجبر الكسير. وتعزية الحزين. والرفق بالمسكين. واحتقار المال. واعتبار الاعمال. والتزام الخالق. واطراحُ الخلايق. وطلب الصالحات. وترك الطالحات: فهذا اختصار التمدن المطوّل. وما عليه المعوّل فلا تمدن بين اوليك الذين يتعرون من هذه الصفات. وينفرون من تلك الكمالات. فلا يقوم التمدن. لدى من اغتنى عن فعله بالاسم. واقتصر عن حدهٖ بالرسم. ولا تمدن بين اوليك الذين يخيطون الثياب. ويمزقون الثواب. ويحسنون المسير. ويسيئون المصير. ويعجلون الخُطا. ويجعلون الخطا. ويمسكون العصا. ويرتكبون العصا. وينصبون الميزان. ويكسرون الاوزان. ويعجمون لسانهم. ويرجمون انسانهم. فيتفاصحون بالعجمات. ويتعرفون بالنكرات ويتداولون المجهولات. ويتجاهلون المعلومات. وينظمون الموضوعات. وينثرون المحمولات: ويحبون الظواهر. ويبغضون الضوامر.

ويحفلون بالمسعى . ويجنعون بالرجعى . ويتغايرون بالرزايل .
ويتعايرون بالفضايل. ويجنحون الى الاموال. ويجنحون عن الاعمال
ويلبسون الخطل . ويتحلون بالعطل . واين التمدن من اوليك
الذين يتخذون دون ربهم ربّ المطروق . ويلهون عن الخالق
بالمخلوق . فيحفلون بالابدان ويخلقون بالاديان. اذ يعبدون الملابس
ويكفرون بالمقادس. وهم في جهلهم يعمهون. وفي طغيانهم يتيهون .
فكل منهم لا يعلم علما. ولا يفهم فهما. وهو يشتمُ الدين وقضاياه.
ويرفضُ الناموس ووصاياه . ويلغو بالرعاة وهو الضال. وبرغو
بالرشد وهو الخال. ويتفاصح بلسانٍ معقود. ويحاجُّ ويصغى بنطقٍ
مفسود . وسمعٍ مسدود . فهنا السباق الى المهاوى. ومضمار المساوي
وعناق الرزيلة. وطلاق الفضيلة . حيثما تحتبك المعاصى. وتشتبك
النواصى. فاين التمدن من هذه الاطوار. بين اوليك الاشرار. آل
التوحش . واولو التحرش

حال المال

ولما كثرت جموع الملا . وانسوا وحشة الفلا . وعلق الخاطر
بالخاطر. وانضمّ البادى الى الحاضر. هفا الجار الى الجار. وذكت النار
بالنار. واشتغلت هيئة بهيئة . واحتاجت فيئة الى فيئة . فتبادلت
الناس صلات الخدم . واشتف كلٌ الى كلٍ والتزم. واذ كان
الانسان يحب خيره . ويمقت غيره. ويسام السوال. ويسوم الاستقلال

لم يمكنه استخدام الغير · ما لم يفِ الخير. فجرت الامور بمجري الاجور وهكذا كان الناس يتقايضون المتاعات · ويتبايعون البضاعات · فالبهايم بالبهايم · والغنايم بالغنايم · والمحاصيل بالمحاصيل · والمثاقيل بالمثاقيل · وما زالوا على هذا السلوك · حتى ابتدعوا المسكوك · فابداء الذهب لمعانه . واطال شوكته وسلطانه ·واهتزَّ كلٌ لسطوتهِ وارتعد وخضع الكلُ له وسجد · علي ان الحيوة صارت تدور عليه · ومجد الانسان يقوم لديه · فبقدره يقدر الانسان . وبكثره يكثر الاحسان · وبوجوده وجد المفقود · وبفقده فقد الموجود . فهذا ما يقال له المال وما عليهِ مدار الاعمال · فالمال ربٌ قدير · وسلطانٌ نصير · تندكُّ لهيبتهِ الجبال . وتعنو لديه الملوك والاقيال ·ويخشاه الزمان · ويرهبهُ الحدثان · وتنطفي منهُ النوايب · وتختفى الشوايب · فبه الجاهل يعقل والخفيف يثقل · والجبان يشجع · والبليد يبرع · والفهيه يفصح ·والمعتوه ينصح · والاخرس يسجع · والاصم يسمع · والعبد يسود · والاعمى يقود والحقير يعظَّم · واللئيم يكرَّم · والممقوت يردُّ · والمهمل يُعد . اما بدون المال فالعاقل يحسب جهولا · واللبيب مهبولاً · والعزيز ذليلاً · والاصيل دخيلاً . والنبيه فهيهاً · والفقيه سفيهاً · والصحيح سقيماً · والكريم اثيما · والطيب خبيثاً · والقديم حديثاً · والشجاع جباناً · والوفيُّ خواناً · والمستقيم معوجاً · والحى مسجى · والمحب مبغوضاً · والصديق مرفوضاً · وكل ذلك يعلمهُ الجاهلون · ويجهلهُ العاقلون

✽ هذا حال الغني والفقير ✽

جلس الغني على ذلك الديباج العظيم · واحقوقف الفقير على مخلوق الادئم · اما الغنى فكان متسربلاً بالارجوان · مزرورًا بالجمان وعلى راسهٔ اكليل مرصع · وفى اصبعه خاتم يسطع · والحفدُ يطوف حوله · والحشم يمتثل قوله · اما الفقير فكان ملتفًا بالاسمال والاطمار · ومنطقًا ومبرقعًا بالاتعاب والاكدار · وعلى راسه عمامة خلقة · وفي اصبعه خاتم حلقة · فرفع الغنى الى الفقير نظره وحملقهُ وشذره ثم قال له بلسانٍ جري · وصوت جهوري

الغنى · ما شانك والجلوس امامى · والحضرة في مقامى · يا ايها الرجل الحقير · والانسان الفقير · فكيف جِسرت عِلى الدخول في هذا الباب · وشجعت على هذهٔ الاعتاب · ومن انت وما انت · وكيف وجدت ومتى كنت · اما تدرى ان الاغنيا سلاطين الزمان · وارباب الاوان · وهيبتهم تهول الحدثان · اذا تحركوا حركوا · واذا نطقوا استنطقوا · واذا خاطبوا خطبوا · واذا طارحوا طرحوا · فهم الذين يسودون الجماعة · ويتصدرون في كل قاعة · يخطرون في اعظم الثياب · ويسحبون مطارف الاعجاب · لهُم المقامات العليا · ولاجلهم خلقت الدنيا · فيجننون مسرّاتها · ويقتطفون ثمراتها · ويهصرون كل عود · ويجندون كل جود

الفقير · لا تفتخر ايها الغنى بغناك · ولا تعجب لجمال مغناك · فما ذلك بصالح الاعمال · وما كان الا للزوال · ولو كنت دهقان الزمان وقهرمان الحدثان · فستظلمُ بسراجك · وستدرجُ بديباجك · وانت

في الاكليل مكبول . وفي الغلايل مغلول . تحيي قلقاً . وتبيت ارقاً . وانت غريقٌ بلجج الاعمال . وحريق بنار الامال . لا ينعم لك جنب ولو توسدت النعام . ولا يترخم لك منزل على الرخام . فلا تفترأليف الجهاد . وحليف الاحتشاد . بينما لا يبرح قلبك متمزقاً بانياب المطامع ولا تزال مجامعك متفرقة بين المجامع . فكلما أُعطيت استعطيت . واينما استعصيت عصيت . وكيفما بجلت بخلت . وكلما بخلت خبلت . وحيثما حسبت حسبت . وايان نسيت نسبت . فانت المثريُّ المرثي . والذهب المغثي . اما سلطانك فعلى نفسك . وتجنيك على جاني فلسك وهيبتك على اهلك . والا فتهلك . فما اعتبروك الا ليعيروك . وما مجدوك الا ليجهدوك . وما اصطفوك الا ليقطفوك . وما صدَّروك الا ليردوك . حتي اذا ما قفيت استقفوك . وقالوا امك وابوك

الغنى . اخس اخس . ولهذرك انس . فنحنِ القوم الكبار . وانتم الناس الصغار . ونحن الاعيان الرفاع . وانتم ال سوقة الرعاع . فهل تقومون الا بنا . وهل تمطرون الا بسحبنا . فطالما غيضنا منكم البكا . وفيضنا عليكم الوكا . وانتم تدرون ولا تفعلون . وتفعلون ولا تدرون فكلكم اهل متلوف . وما منكم رب معروف . فلتعش الامانه . ولتمت الخيانه

الفقير . اصمت صهٌ . اسكت مهْ . فما دعواك هذه الا ابنةُ الجهل افة الاغنياء . وحليفة الكبرياء . فاذا راجعت النفس . ترى العكس . اذ انتم بنا تحيون . ومن مناهلنا تروون . فنحن الفيئة الكبرى

وانتم الفرقة الصغرى . ونحن فعلة الطبيعة . وشغلة الارض الوسيعة . نحرث الارض ونشتغلها . ونسكن الرحاب ونأهلها . فلا نحتاج اليكم ولا للمثول لديكم . اذ تقتات من النبت والشجر . ونلبس الصوف والوبر . ونستضيء بالشمس والقمر . ونتوسدُ التراب والحجر . على نعيم البال . وخلو البلبال . وصحة البدن . وطيب الفدن . اما انتم فماذا تعملون اذ لم نرقدكم . وكيف تعيشون اذا لم نفدكم . يانسل البليد واهل التليد . فهل يغنيكم التبر عن التراب . والاكتان عن الرحاب . والياقوت عن القوت . والبحر عن الحوت . انما الدرُّ من الصَدف والانتظام من الصُدف . فاذا اطمعتمونا بمالكم . فلنيل امالكم . واذا عاملناكم باعمالنا . لتخفيف احمالنا . فانتم تحيون بنا . ونحن نشتغل بكم فلا تحيجونا لثلبكم او لسلبكم

الغنى . فنهض الغني على قدميهِ . وبسط جفون عينيهِ . وكشَّر اسنانه ودلع لسانه . لماذا اكثرت شتمي . واطلت رجمي . وانت تغيظني بخطاك . وتعدي عن الحدود خطاك . هاتكاً حرمة الادب . وفاتكاً بسطوة النشب . فلا اعتبنَّ عليك . واذ لا تهذيب لديك . على ان الفجور من شان الفاقة . وما اقبح الفاقة والحماقة . فلا يجود الفقير . ولا يسود الاسير

الفقير . الشتم بالشتم . والرجم بالرجم . ولو لم تتخطَّ الادب . ما استنطقتك العتب . فانت المبتدي . والمبتدي معتدي . والادب من خالق النفس . كالنور من الشمس . لا ياتي بالكتاب . ولا بالجد

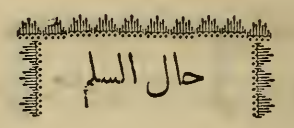
والطلاب . فمن لم يكن ذا استعداد . لم يفز بالمراد . فلا علمٌ يفيد . ولا معلمٌ يقيد . والتربية في الافلال . اعظم منها في الاموال . فالفقير يثقفه الكد . ويهذبه الجد . وتربيه الايام وتصلحه الانام . فتحسن صفاته . وتحمد اوقاته . ويامن شر النكد . وضرّ اللدد . ووقايع المباراه . ومواقع المداراه . وشوايب المناجاه . ومعائب المداجاه . فيعيش بلا كدر . ويموت بلا حذر . تاركا حسن الاثر . اذ لا يعتني في لعلَّ وليت . ولا يتمنى خراب بيت . ولا يتهنى بانقلاب صيت . ولا يتكنى بالخرّيت . فيكون كل كنزه في الحصول على خبزه . حتى لا يخامره مرض المطامع . ولا مضض المسامع . فيخلو من الحسد المفترس . والطمع المختاس . والكبرياء الوحشيه . والاميال الفحشيه . اى كل الانفعالات التى تحرق الانسان . ولو كان في الجنان

حال الحرب

خربت الارض خرابا . وانقلبت الجماعة انقلابا . لان الحرب انتشبت . والفتنة انتصبت . فتباعدت الشعوب . وتنافرت القلوب وخيمّ سحاب البغض . واكفهرّ محيّا الارض . حتى اذا ما كثرت مضارب السيوف . وتطنبت مضارب الحتوف . جرت الدماء كالجوارى وتصوّرت الناس كالضواري . فهبطت جواشن النظام . وانقلعت شواجن الانضمام . وانثالت عروش الصنايع . وانسدّت مسالك البضايع . وسقطت التجارة . وانقطعت الاجاره . وتقوضت البلاد

وانجزز الامداد . وذهب الجار يعوث بالجار . والمزار يشط عن المزار
وراح كلٌ يزيغ في وعث البلى . ويروغ في وعكة القلى . فما هذا
الدثار العام والدمار التام . انما هو الحرب والطعن والضرب . حيثما
الفيالق تحمل على الفيالق . والبنادق تسطو على البنادق . والكتائب
تتجاذب الكتايب . والركائب تغور على الركائب . والقنابل تصادم
القنابل . والذوابل تستميل الذوابل . فتنكسر السنابك على السنابك
وتلتطم المسابك في المسابك . اذ تلعلع المدافع باهوالها . وتهال الارض
فتزلزل زلزالها . بينما تتخفّ القماقم . وتتطاير الجماجم . وتتساقط
الهيا كل المتحركه وتنهدم المباني المدركه . يوم يصفر البحر بالامواج
وتلغط الاودية بالرجراج . ويلبس الجو جلباب القتام . وتغور السماء
في حجاب الظلام . ترقد عيون الدراري . وتدلهم وجوه الثراري .
فظلماتٌ بعضها فوق بعض . وبلا بل تبلبل السماء مع الارض . فما
ذاك من شان الصواب . وما هو الا رجسة الخراب . ووقوع العذاب
والمصاب . فكيف تنزل البشر منازل البهايم العاريه . ويفعل
الانسان فعل الوحوش الضاريه . اذ ينثر عقد شمله . ويفرّق
مجامع جمله . شاهراً حسام القراع . وساهراً باعين النزاع على عزيمة
الصراع . ليختلس جيرانه . ويقتبس اقرانه . محرضاً من عدو الطمع
الالدّ . ووساوس الحسد الاشد . يستزيد ذاته بنقص الغير . وينسج
خيره بنقض الخير . ولذلك لا يفتر مشتغلا بتتميم العدد . وتكثير
العدد . فسوف ينجم النقصان عن التمام . ويستقر الوجود من الاعدام

والحسام يبطل الحسام · فالضرب يغلب الضرب والحرب تقلب الحرب



حال السلم

ولما وقعت دول الحروب · وسكنت حركات الشعوب · تبسم ثغر السلم عن شنب الهدو · وطافت كؤوس البشرى على الاصال والغدو · واسفرت الارض عن محيا الابتسام . فاغتبطت الناس في بشاير الامن والسلام · حتى اتشحت البوادي بجلابيب التهاني · وامتصت الصوادي انابيب الاماني · وعاد الوري ينضم الى الورى والقوم يحمد السرى · وازدهت البلاد · وازدهرت العباد · وتمكنت مباني الاعمال · وتوطدت مغاني الاشغال · وبذخت قصور العمار واستقرت متون القرار · وانتظمت سلوك الوفاق · وانفصمت عرى الشقاق . فخرس الفم الفاغر · وانكسر الذراع الكاسر · وانقهر الطبع القاهر · حتى نام الطرف السهود . وطاب الفواد المفوود . ونعم عوف الجبان · وامن خوف الزمان . وفك الغنى طلاسم كنوزه · واخذ الذهب ببروزه · فرنت الاغانى في المغانى · وغنت الاوانى على الاوانى · وقلص نهار الافراح ليل الاتراح · واستظهرت الاقلام على الصفاح . فما هذه الحالة الهادية · والعيشة الراضية · انما ذلك طلوع السلام · ووقوع الخصام . حيثما تنعم الناس · ويتبادلون الايناس · امنين على بيوتهم · وظافرين بقوتهم · فيعيشون حسب

خوفهم ، يموتون حتف انوفهم . فليعش السلم المبتغى . وليمت الحرب والوغى

حال الحب

انما الحب رباط الجمهور . ووفاض الامور . وصديق السراء وعدو الضراء . به تتفق الشعاير . وتلتصق العشاير . وتبلغ الاوطار وتغلب الاطوار . لا يقوم لديه عنيت . ولا يسطو عليه صليت . اينما حلّ رحلت الشرور . ونزل السرور . ونهض الوفاق ووقع الشقاق . لا يتوطد بيتٌ الا به . ولا يثبت قومٌ بانقلابه . فهو الاساس المتين . والعضد المعين . وهو البطل المغوار . والعسكر الجرار . لا تنزل راياته الخافقه . ولا تنذل غاراته الدافعه . له الغار كلما غار . والفوز اينما سار . والسطوة حيثما ثار . وله الاعتبار والكرامه . والمجد والفخامه . لا يقبل الشين . ولا يرضى المين . ولا يصحب خلقًا ذميًا ولا طبعًا لئيمًا . ولا يلامس متصلفًا . ولا يداني متجهرفًا . ولا يرافق الكبريا ولا يواصل الرياء . ويرفض النفاق . ولا يقبل الصداق . فهو السماحة والحق . والدعة والصدق . والتواضع والاناسه . والشرف والنفاسه والكرم والجود . والرفد والوفود . والغوث والاعانه . والاحسان والامانه . ويقسم الحب الى خمسة اقسام . وهي الابوى . والبنوى . والاخوي . والودادي . والعشقى

اما الابوى فهو حب الاباء لابنايهم ولا يوجد اصدق واثبت من

هذا الحب. فلا تغيره الايام. ولا تعارضه الاعوام. اما البنوي فهو حب الابناء لا بايهم. وهذا الحب ينحط الى المرتبة الثانية. انحطاط المعلول عن العلة. فلا يبادل الابن والديه مساواة الحب. على ان الابن لا يشعر بمحبة والديه الا بعد محبتهما له مدة طويلة اعنى كل سن الفتوة. والاغلبية للمتقدم. وبينما يعقل الابن ويبتدي ان يحب والديه يعود مشعرًا بصعوبة تربيتهما له والتزامه بالطاعة لهما. فاذ يكون مطبوعًا على حب الحرية يري نفسه غير حاصل عليها. فلا يمكنه ان يحبهما بمقدار حبهما له لمعاضتهما اياه في سلوكه واذا كان نشاء على خوفهما. فلا يجتمع حب الشى والخوف منه معًا فيكون اذًا الحب الابوى طبيعيًا. والبنوي ادبيًا هذا اذا لم نقل ان الحب نتيجة الموالفة

اما الاخوي. فهو الحب القايم بين الاخوة. وهذا هو نتيجة الموالفة محضًا. وقد ينقص ويزيد بمقدار هذه الموالفة. وقد يشتد في البعض وينقص في البعض. وقد لا يوجد ابدًا تبعا لاداب الاخوة وتربيتهم وما تعودوه من ابايهم. اما الحب الودادي فهو الحب الذي يوجد بين الاقارب والاصحاب. وهو نتيجة الموالفة ايضًا. وهذا اما انه يكون مخلصًا. اما انه يكون لغرضٍ فالمخلص نادر. والغرضي كثير ومتواتر. وربما انقلب الغرضى الى مخلص والمخلص الى غرضي تبعًا لقراين الاحوال ومواقع الاعمال

اما العشقى. فهو حركة تشمل القلب وتشغل الخاطر. اما حصولها

فيكون اولاً على طريقة الوداد . او الميل البسيط ثم ترتقى الى درجة الحب . وهو الميل الثابت الى المحبوب . ثم تصعد اخيراً الى درجة العشق وهناك اذا افرطت تدعى بالهوى او الجوى او الغرام وذلك حسب قوتها

فاذا نزل العشق في قلب الشخص رحل صوابه . وصارت كل افكاره تدور على هذا الاسم . وهكذا فتعود كل تصرفاته منصرفة الى وجه الحبيب بحيث لا يعود ساعياً الا في سبيل مرضاته ولا يطلب الا شهوده حيثما يغدو موقعاً لملاعب الالام . ومهباً لعواصف الاميال فيهيم ديمار . ويروغ ويغار . واذا تبدَّل شهوده بالغيبة تلاعبت به خمرة الاشواق . وعبثت بقلبه نار الاتواق . فيحن ويأن . ويضيق صدره . ويضطرب فكره . وياخذه القلق . ويشمله الورق . ويتصعّد ويتنهّد . ويهيم الى الطرقات . ويرصد الطاقات . ولا يلذ له سوى ترداد ذكر الحبيب واللهج به

ومن عادة العشق ان يلطف طباع العاشق . ويجعله سميراً ونديماً ولبيباً . ويرقي طبيعته . ويرقص افكاره . ويدعوها الى رقة الغزل والتشبيب بالجمال . حتى يعود يمكنه التلاعب باحوال كل الوجود فيصير مصوراً للطبيعة اذ يتوهم فيها الصور المحبوبة لديه . وشارحاً لكل الحركات والظواهر المحيطة به اذ يرى ان لكلٍ منها خدمة في بيت الحب ولعباً في مشهد الهوى على انه يرى ان الخليقة تتنفس لديه بالحيوة وتنفس كربه وترعرع مثواه . فيناجي الافلاك ويرسم الرياض

ويخاطب الازهار . ويطارح الاطيار ويشخص الليل والنهار . ومن ذلك ما اقول

نفضَ الشرقُ على وجه المغيب . غبرة الديجور
وسعى الصبح على العود الرطيب . بكؤوس النور
فانثنى يرقص والامر عجيب . رقصة المخمور
بقوامٍ خلتُهُ قدَّ الحبيب . اسكرته الحور

دور

والنسيم العذب يجرى في الصباح . حامل الرند
وعلى الازهار فوق الدوح صاح . بلبلُ السعد
وندى الفجر على النسرين لاح . طالب العقد
قد حكى درًّا علي جيد ربيب . او علي كافور

دور

ومهاةٍ اقبلت اثر النهار . تحت ظل الليل
اقبلت بعد عتوٍّ ونفار . تستعيد الميل
وهى تدنو بحياء وافترار . والهوى كالسيل
زورة قداولت الصب الكئيب . بهجة المسرور

دور

حبها القاسي وقلبي ارتبطا . برباط العهد
انما عقد اصطبارى انفرطا . بالجفا والصد
وفؤادى لم يزل مختبطا . في الجوى والوجد

وانا بين عذول ورقيب انجز المقدور

دور

سمحة لى كلما مدت يدا صاد قلبي القلب
ذات قدٍ بردا اللين ارتدى ليت ذا للقلب
وانا عنها ولو ذقت الردى ليس لى من قلب
اه كم جار على قلبي السليب جفنها المكسور

دور

دمية عجباء ما بين الدمي تفضح الغيدا
ريمة ترتع في قلبي فما تعرف البيدا
ذات عقدٍ يزدهيني كلما يلبس الجيدا
وعيون كيفما دارت يصيب نبلها المحذور

ومن ذالك

بالله قولى لنا يانسمة السحرِ من اين جئت بهذا النافح العطرِ
ومن امدّك كل اللطف والعجبى حتى غدوتِ بشير الصبح للبشرِ
وما فعلتِ مع الروض الانيق فما خطرتِ الا وفاقت اعين الزهرِ
واي سرٍ ترى فيك الطيور فما سريتِ الا وغنّتْ فى ذرُى الشجرِ
فهل سبقتِ عروس الصبح وهي على نارٍ فقبلتِ خد الورد من قمري
وهل ضممتى رقيق الخصر منه وقد ثملتِ بالراح بين الطلع والدررِ
وهل شرحتِ لخود الروض يقظته عند الصباح امام النرجس النضرِ
وهل رويتِ لاسماع البلابل عن وساوس الحلي بين الورد والصدرِ

فها جنيت على كل الانام بما جنيت من ذلك الوسنان في السحر
بالله يا ريح ان مكنت ثانية من صدغه فافهمى فيه واستتري

ومن ذلك القبيل

اذا خطرت نسيم من سعاد اثارت كل شوق في فوادى
وان لمعت بروق من حماها همى من اعينى صوب العهاد
نجوم الليل هل تدرين انى نظيرك لم اذق طعم الرقاد
فقصى يانجوم علي مما علمت من المواقع والجهاد
فليس سواك لي ابدا سمير يعزينى ويعلم ما مرادى
ويروي لى حديث ذوى التصابى ويسعفنى على حمل السهاد
ويا ورقاء فوق الايك ناحت امن هجر نواحك ام يعاد
اراك ترددين على لحنا يذيب سماعه قلب الجماد
فقد هيجت مهجة كل صب وقد رنحت معطف كل شاد
ويا قضب الاراك اراك سكرى لعلك شمت ثغر سعاد بادي
فميلي ياغصون علي ميلى نعم بك للهوى لعبت ايادي
ويازهر الربى من اين ات عبيرك هل شممت شذا سعاد
فعدت باعين سهرى وجسم نحيل واهتزاز وارتعاد
ويا ماء الغدير اراك مثلي تائر ولست مفوءد الفواد
فانت على فراش الوصل تجري طوال الدهر من دون ابتعاد
رويدك ياغرام فكل خلق غدا بيديك مطروح القياد
فكم يافاسدا لك من صلاح وكم ياصالحا لك من فساد

وكم ياداعيـاً لك من مجيب وكم ياظالماً لك من منـادى
فما من دولةٍ دامت ولكن لدولتك الدوام على التمادي
وكل فتى لها عبدٌ ولكن نظيرى ليس يوجد في العبـاد
فواعجبـاً لقلبي كـيف يقضي شروط الاسر وهو بلا رشـاد
وغانية علقتُ بهـا غراماً بدت لى كالزلال لقلب صادى
فهمتُ الي ورود الثغر منها عسى الجريال يروى ذا اتقاد
وعيس صبابتي تسعى اليها علي لغبٍ وداعى الشوق حادى
اسيرُ ونصب عينى نار سلمى وبين جوانحي قدحُ الزناد

ومن ذالك الوجه موشح

لاح بدرُ الحسن من برج الحما فنضى بالنور سجف الغلسِ
وسقـانا اذ رنـا مبتسماً خمرةً قد عصرت من نرجسِ

دور

قمرٌ ضاء سنـا طلعتهِ في دجى الشعر فلا غاب القمر
وبدا الورد على وجنتهِ فغدا للقلب يحلو والنظر
كتب الحسن على غرتـه لاينال الوصل الامن صبر
وعلى قلبي هواهُ رسمـا صور الشوق بنار الهجسِ
واعاد الطرف يرعى الظلما والدراري صرن لى كالحرسِ

دور

هزَّ من قامتهِ رمح الهوى وانتضي من جفنهِ سيف القضا
وانثنى يسلب روحي والقوى بعدما قد كان عني معرضا

ليت يدرى ما بقلبى من جوى علّه يبكى عليه ان قضا
صحتُ مذ اورث جسمي السقما بالجفا وهو شفاء الانفسِ
ياغزال الحى رفقا بى فما تركت عيناك لى من نفسِ

دور

ايها الغالب بالطرف الكحيل مغرمًا يرعى الصبا والوصبا
تهْ بما شئت فلي صبرٌ جميل اذ ارى الدنيا لمن قد غلبا
الك ثغرٌ باللما يشفى العليل بابي افديهِ ثغراً اشنبا
ورضابٌ ليتهُ يطفى الظما من فواد فيهِ نار القبسِ
ودلالٌ يعذابى حكما فانا اليوم كثير الهوسِ

دور

زارنى والليل كالبحر اعتكر وبهِ الشهبُ جرت كالسفن
والدراري قد حكت فيهِ الدرر او عيون الغيد اذ تغمزني
وعلى كل الوري التى القمر حزم النور وهم في الوسن
فلثمتُ الخدَّ منهُ والفما وهو يسبينى بلطف الميسِ
والدجى مدَّ علينا خيمًا ليت لا تطوى خيام الحندسِ

دور

وانثنى عنى وقد لاح السحر والتهى كلٌ بتوديع الحبيب
والندا كلَّل تيجان الزهر وشدا الطير على الغصن الرطيب
وضياء الصبح في الشرق انتشر وانطوى الديجور في وادى المغيب
فلكم ذاق فوادي الما حينما ودعتُ كرهًا مونسى

ولكم اجريتُ دمعاً كالدما من عيون في الهوى لم تنعس

دور

جرَّد الافق على عنق الظلام صارم الانوار والقطبُ يدور
وغدا للصبح في الشرق اضطرام ولجيش الليل في الغرب فتور
فبكت للبين اجفان الغمام ادمعاً لاحت بافواه الزهور
ونجوم الاوج غارت في السما وتوارت في حجاب الاطلس
وفؤادي قد غدا مضطرما مذ تقضى طيب ذاك المجلس

دور

سطر الفجر على لوح الجلد بيراع النور احكام النهار
فازدهى وجه السما بعد الكمد اذ بدت شمس الضحي والنجم غار
وكذا الثور جرى خلف الاسد راكب الحوت ودبُّ الاوج طار
وصبت روحي الى ذاك الحمى حيثما يرتعُ ظبى الانس
فهناك الحظُّ لي قد قسما في ليال قد مضت كالعرس

دور

يااخا الاشواق سم صبرا على ذلك الوجد الذي فيك جرى
واحمل العشق ولا تشكُ البلا فالهوى يجرى على كل الورى
ان كاس الحب يحلو للملا وبه كلُّ فواد سكرا
بئس قلبٌ لم يذق حبَّ الدمى فهو اخلى من مذاق الاكوس
ورعى الله فؤادا ختما بدم العشق وبالشوق كسى

دور

غرَّد الحسن علي دوح القود — فغدت ترقص اعطاف الجوى
واستوى الورد على عرش الخدود — لا بسًا حلة سلطان الهوى
والعيون السود بالسحر تسود — ولهـا نخضع ارباب القوى
حدقٌ تفعل بالقلب كمـا — فعلت كاس الطلى بالارؤس
ونهودٌ غادرتنى ابكمـا — دهشة وهي شفـاء الخرس

ومن ذلك النمط

حتى مَ ياذات الجمال الاعظم — تهوين تعذيبي فجسى اعظمي
مهلاً فقد بلغ الجفا ما شئت من — جسدي ورفقًا بالشجي المغرم
قسما بحسنك وهو خير اليـةٍ — عندي وقطٌ بغـيره لم اقسم
لا ابتغى الاعتاق من اسر الهوىٰ — ابدًا ولو سفكت بواتره دمى
افدي التى ابدت لعينى وجنة — تزهو بحسن تضرّج وتضرّم
قنواءُ اذ هزت قنـاة قوامهـا — ناديت واتلـفى وفرط تالمي
ياقلبُ هذا الحبُّ فاجمل ضيمهُ — علنـًا ولا تسمع لهذر اللوم
واصبر علي البلوى فكيف ترد ما — دفعت اليكَ يدُ القضاء المبرم
قل للذي يشكو الهوى وهوانهُ — سلم امورك للاحبة تسلم
ياربة الحسن التي سبتِ النهى — يكفيك ما فعلت عيونك فارحمى
حللت فصلي وهو غير محلل — وحرمت وصلي وهو غير محرَّم
عودي المحبَّ فسقمهُ لكِ شاهدٌ — عن صحة الحبِ الذي لم يسقم
لا اشكونَّ لكِ الصبابة والجوى — حذر المخيبة فارحمي او فاظلمي
فاذا راكِ القلبُ ضجَّ كانـهُ — لكِ يقصدُ الشكوى على كره الفم

لاتحجبي عنى جمالكِ ذا السنى ... فبغير منظرهِ انا لم أُنعم
واذا حجبت بهاء ذاك الحسن عن ... عيني فانظرهُ بعين توهمي
والوهم يجلي للفتى ما لم يكن ... طوع العيان فكم بهِ من مغنم
افدي بروحي ذلك الوجه الذي ... جمع الجمالَ ولطفَ ذاك المبسم
زيحي لثامك يا ابنة الصبح التي ... قد اصبحت شرفاً لكل الانجم
فمتى ترى عيناي ما قتلت بهِ ... روحي عسى تحيي بمنظره اكسى
فلو انجلت كل الغواني لي ولم ... أكُ ناظراً لسناكِ لم اتنعم
ان كانَ لا يبنى لغيركِ منزلٌ ... في مهجتي فصبابتي لم تهدمِ
فاذا بسطت القلب بسط مشرّحٍ ... وفحصت عضو العقل فحص معلمٍ
تجدي بذاغيّ الهوى عوض الهدى ... وبذاك نيران الجوى بدل الدَم
قومي انظري حوض المياه عسى اذا ... عاينتِ حسنكِ ترحمين تتيمي
فلقد حويتِ منَ المحاسن ما بهِ ... اصبحت ذا قلبٍ بحبك مغرمِ
لك قامةٌ قامت بها طُرَفُ الصبى ... فحلتِ وطرفٌ كالظبا والاسهم
والواحظٌ ما غازلتني خفيةً ... الا واخفت في كلٍّ تألم
حدقٌ احلن دمي وكل عناصري ... بقوى الجمال الي الغرام المرغمِ
حتى غدوتُ بغير انسك لا ارى ... حظاً ولو قد حزتُ كلَّ تنعم
هذا هو الشرف الذي لسواكِ لم ... يسمح بهِ فتدللي وتحكمي
شرفٌ لديه كلُ قلبٍ خافقٌ ... ابداً وكلٌّ فمٍ يرى كالابكم
ايحلٌّ في شرع الهوى لكِ هجر من ... لم يرجُ منكِ سوى محادثة الفمِ
فانا وان كان الهوى بي محدقاً ... عفٌ نفيسُ النفس لم اتجرّم

واقد صبرتُ على تباريح الجوى صبرًا تعجب منهُ كل متيم
فضعي يديك على ضنا صدري عسى تدرين ما فعل الغرام باعظمي
واذا الغرام اماتني كمداً فذا حقٌ قد استوفاه حسنك فاسلمي
ليت القضا يختال ان يلقيك في وادي الهوى لتري عذاب المغرم
فمن المحال على خليّ القلب ان يدري صبابات الشجي المكلم
اذني عن العزال واللوام في صمم وطرفي عن سواك غدا عمي
يالائمي دعني فلا اسلو وهل يصغي المحبُّ الى الملام المظلم
عبثت ايادي الدهر بي فاذبنني واعادت العبراتُ مثل العندم
حتى كان جميع اعضاي غدت غدرًا لافراز الهيام الاعظم
كم ليلة قد بات طرفي ناثرا دُررالدموع لذي دراري الديجم
ارعى مسير الشهب في كبد العلى وانا انادي ايها الفجرُ اهجم
اذ يجتلي المريخُ كالدينار في كف السما والمشترى كالدرهم
وكانَّ جبار النجوم على الدجى جبّار قوم فوق صهوة ادهم
حيث المجرةُ نهرُ نور في السما يسقي حديقة نرجس من انجم
فاذا نظرت الى السماء وجدتها بنجومها مثل الطراز المعلم
فمناظر الافلاك راقت كل ذي سهر فما اشقى عيون النوَّم
فالسهدُ مثل الشهد للعشاق قد يحلو وللخالينَ مثل العلقم
ياللهوى كم قد ارقت دياجرا بهوى غزال راح يغزو كالكمي
ظبيٌ اذا ما لاح صحت تشوقًا يامقلتي هذا نعيمك فاغنمي
يا ايها الرشاء الذي سلب النهى مني وغادرني اليف تظلم

كن راحماً من قد سكنت فواده صبٌ لديك رحمت ام لم ترحم
واذا صرمت حبال ذياك الولا فانا لحبل صبابتي لم اصرم
ضحك الحسود شماتة لما راى منك القطوب فبكهِ بتبسم
ليس الحسود يسود قط فقلبهُ متعذبٌ ابدا بنار جهنم

ومن ذلك النسق

مازال يعصي الهوى والحسن يخضعهُ حتى جرت في لهيب الحب ادمعهُ
صب الي كل حسناء صبا ولها لكن اليك وقاك الله مرجعهُ
هيهات يعشق قلبي يامناي سوى هذه العيون التي بالسحر تصرعهُ
لواحظ فوقها بالحسن قد كتبت يد الصبى جاذبٌ لا شيء يدفعهُ
فان اكن عنك اظهرتُ التسلوَّ فذا تظاهرٌ كان يشقيني توقعهُ
اين السلو وطرفي كان يسرق من مرآك اذ لحت ما في القلب موقعهُ
عودي اليَّ فثوب الميل نحوك لا يبلى ولست مدى الايام اخلعهُ
واسترجعي ذلك الانس القديم ولا تنسي هوًى في اقاصي القلب مرتعهُ
لا تنكري الحب او خبي اصفرارك اذ ابدو فوجهُ المعنّى ذاك برقعهُ
لحسن وجهك فعلٌ لست ادركه على فوادي فكم في السر يصرعهُ
لم ادرِ هل قد اراني البرق ثغرك اذ بسمت ام ذاك ماء الظرف ينبعهُ
كانما بين عينيك الجمال دعى قلبي الى فتنة فانساب يتبعهُ
صرعت ذا القلب بالالحاظ ظالمة فظلَّ يخفقُ حتى ضاع موضعهُ
مدّت له عينك الكحلاء سلسلة خفية نحو اوج العشق ترفعهُ
هناك مراك عند القرب يوسعهُ وجدا وذكراك عند البعد تفجعهُ

اليك كلٌ كمالٍ ينثني ولذا عليك كل جمال قام مهيعهُ
لذاك لا انثني نحو السوى فانا وافٍ وثوبُ غرامي لستُ انزعهُ
هذه يدي وثاق العهد يربطها وذا فوادي وعضب الشوق يقطعهُ
وذي دموعي وخوف الهتك يسحها وذاك نوحي واذن الليلُ تسمعهُ
قومي بنا يا ابنة الصبح المنير الى روضٍ بهِ الزهر يحلو لي تنوعهُ
حيث الغدير راى غدر القضا فجرى يانٌ والشطٌ يلويهِ ويدفعهُ
كانهُ راكضٌ يبغي قتال عدى والريحُ بالزردِ الفضيّ تدرعهُ
وفوقهُ لغصون الحور مشتبكٌ يحكي صراع عفاريتٍ توقعهُ
والبدر من خلل الاوراق يطلب ان يلوح والريح تعطيهِ وتمنعهُ
كغادةٍ نظرت معشوقها فغدت تلوي الازار قليلاً ثمَّ ترجعهُ
والشهب تلقي على ظهر الغمام سنىً كانها بحبال النور ترفعهُ
والبرق مثل حراب النار يرشق من قوس السحاب وبطن الجو يبلعهُ
حتي اذا ما الدجي ضمن الوها دهوت قبابهُ وانزوى في الافق مجمعهُ
والشرق من فمهِ المفترّ رشّ علي وجه السما ماء نور راق منبعهُ
والغرب جمعَ جيش الليل فيه وقد احاطهُ بذراعيهِ يودعهُ
وقد سرت نسماتٌ خلتها سحرا روح الظلام الذي قد تمّ مصرعهُ
والصبح ارسل تلك الروح تسرق من زهر الربى ما على الدنيا تضوعهُ
صبت عيوني الى وجه التي سلبت لبي وملت على صبري اشيعهُ
تلك التي كلما لاحت لدى نظري ضجّ الفواد بصدري وهو يفزعهُ
تلك التي ان اكن صارمتها غضباً فكلٌ مرّ عذاب كنت اجرعهُ

تلك التى حينما زارت عقيب قلى ترنو الىّ بطرفٍ سال مدمعهُ
والحسن يطفح من افطار طلعتها والوجدُ يقطرُ في قلبى فيوجعهُ
وضعت في يدها ذات الغرام يدي والعهدُ بينهما يحيي توقعهُ
قالت وقد ذبلت الحاظها خجلاً كنرجس جاء حرَّ الشمس يلذعهُ
ايُّ الذنوب جرى مني وهبكَ انا اذنبتُ فاذكر جنونا كنت تصنعهُ
انىّ اشعت سلوى حيث لا سببٌ وكيف قلبك في غيري تضيعهُ
انا التى لك قد خصصت قلبي اذ لبست ثوب غرام رحت تخلعهُ
انا التى في الدجي اصبو لشخصك عن شوق وفي مهجتى الحراء اطبعهُ
انا التي بك ايدي الشوق قد ربطت طرفي وطرفك عنى السهو يقلعهُ
اجبتهـا ولهيب الوجد متقدٌ وفي فوادي اسيافٌ تقطعهُ
الذنب منى فكفى ادمعًا حجبت برق الشباب بطرف جلَّ مبدعهُ
يامهجتى يامرادي ياحيوة دمي يامن بغيرك طرفي لا امتعهُ
اليكِ ما زلت مجذوبا بغير يدٍ وفي حشاى الهوى ما زال مربعه
وكلما كنت انهى القلب منى عن ذاك الهوى كان يعصانى ويتبعهُ
فايُّ سحرٍ عليه قد رميت وما هذا الذي لك عنفًا راح يخضعهُ
ان قلت حسن فكم بين الورى حسن او قلتِ طبعٌ فأنّى لا اطبعهُ
هاقد عرفت السرَّ فهوَ على عينيكِ يفشيه اجهاشٌ ويطلعهُ
انت التى لك ميلٌ لى اليك دعى ميلى بعنفٍ فجهلاً كنتُ اقمعهُ

ومن ذلك الصدد

ما للمليحة غضبى لا تكلمنى كانهـا بي لم تسمع ولم ترنى

غضبي وما لي من ذنبٍ كما علمت | سوى افتتاني بمعنى وجهها الحسن
ما بال اعينها في الارض مطرقةً | وكلما اطرقت عيناي ترمقني
ونحن في مجلسٍ قد قام من نخب | فمن حسود ومن واشٍ ومن خشن
عسى العيون التي قد اتلفت كبدي | كلت من الفتك او ملت من الفتن
او انها علمت ما قد جنت فغدت | من الخجالة ترنو مثل ذي وسن
هذا اذا لم تكن من غيرةٍ غضبت | عليَّ وهما فما عادت تغازلني
ليت المليحة تدري انني كلفٌ | بها الى غيرها ما ملت في زمني
ولي ثباتٌ عجيبٌ في الهوى عجبت | منهُ الجبالُ وحار الدهر ذو المحن
على عهودي وودي قد ثبتُّ لدى | صدم الزمان ولم انقض ولم اخنِ
رويد جورك يا غضبى بلا سبب | مني الرضاء وهل للآن لم يحن
اطلت اعراضك الريم فالتفتي | كالريم نحو فتى احيى الهوى وفني
حتى يراك فيغدو والحشى قطعٌ | والعقل في ذهل والقلب في حزن
ما زال يهواك حتى صار يحسب ما | بين الملا من عباد الشمس والوثن
مهلا ايا صنم الحسن الذي سجدت | له قلوب الورى من سالف الزمن
شمشومُ داودُ حمنونُ ابنهُ تبعًا | كذا سليمن ربُّ العقل والفطن
للّه درّهمُ كلٌّ غدا لبني | حواء قدوة طهر الروح والبدن

وقال ايضًا

اسبلت فوق صحاحٍ مراض | وجلت تحت سوادٍ بياض
غادةٌ في ليلِ طرتها | مدمعي والنومُ فاضَ وغاض
وجهها الراضي رياض البها | اهٍ واشوقي لتلك الرياض

وخدودٌ جعلت قلبهـا قاسيًا فظًا وهنَّ بضاض
ما رنت كالظبى الاَّ وقد خلت حال الامرِ في القلب ماض
واذا قامت باردافها ضاقَ صبري بين تلك العراض
عَبلٌ لولا نهوض الصبى كانِ لم يسمح لها بانتهاض
ايها الحسن العجيب انا لك عبدٌ فاقض ما كنت قاض
صلْ وطلْ واحكم وتهِ وأتمرْ فانا راض بما انت راض
انت لى كل الرغابِ وما انت في الدنيا بشيءٍ تعاض
كل اهوائـي انقرضن وما لاهتمامى في هواك انقراض
خضتُ منذ الحمل بحر الهوى والى الان اقاسى المخاض
ها انا فيهِ على سفر بادي الانفاض خالى الوفاض
فمن الاشجان زادي ومن مدمعى ماءٌ متى شيت فاض
يا احباى افاعى النوى في فوادى لا تكف العضاض
حكَم الدهرُ لفرقتنــا ما على حكم القضاء اعتراض
ذكركم زلزلةٌ في الحشى ولها في كل جسمى انتفاض
وهواكم بي صحيحٌ ولو عندكم علَّ ودادي وهاض
لا تظنوا انني مثلكم اذكر العهد متى الديك باض
ذلك البين ليال على عاشق شقَّ الليالى وخاض
ياسراة السفح لازلتم فى انبساط والعدى في انقباض
ما رعى الهفافُ غيطانكم وسقى الرجاف تلك الغياض

وقال

تِه بما شئت بالهوى وتحكم   واظلم الصب ما شكى وتظلم
ان تكن ظالمًا فظلمك عدلٌ   لمحبٍ عني اليك وسلم
لك سلمت ياحبيبى امرى   فلك اليوم ان تجور وترحم
ياهلالا سبى العيون ببدر   لاح من هالة الجمال المعظم
سد بطرف لهُ لسانٌ وسيفٌ   بهما كلم الفواد وكلم
وكذا جر عليَّ اذْ ليس لى من   ذاك واق ولا الزمان اذاهم
ما استجار المحبُّ بالدهر من جو   رك الاَّ كالمستجير من الرَّم
سفكت بالفتور اعينك السو   د دمى فالامان ياسافك الدم
قد قضى الله ان اكون عميدا   بك فارفق انَّ القضاءَ لمبرم
كم وكم عن هواك حاولت سلوا   نًا لاقضى منك انتقامًا وكم لم
فصوابي ذو العدل يدعو الى الثا   رِ وقلبى ذو الحلم يعفو ويرحم
ذاك ثارٌ ان يحلو فالعفو احلى   وكلا الخلتين في الحب علقم
ليس لى حيلةٌ بها العدل يرضى   غير اخذي عليَّ ذنبك فاسلم
ان ذنبى ذنبٌ عظيمٌ ولكن   الك عفوٌ عن ذلك الذنب اعظم
ان اكن قد سلوتُ عنك فما كا   نَ سلوي الا سحابًا تجهَّم
كيف اسلوك يامعذِّب قلبى   لا ومن يدرى ما بقلبى ويعلم
فانا ما بدلت تبرا بتربٍ   مذ بدلت الدينار انت بدرهم
وعلى كل حالة ان احل يو   مًا فاني اتوب حولا واندم
انت غصن الهناء في العين لكن   انت والله في الحشا شجر الهم
فجفاك العريض اقتل من سمٍّ   وصبرى المريض اضيق من سم

وانا في الحالين ميتٌ وحيٌّ بالجفا والرجاء والله اعلم

ومن ذلك المنوال

ياسعاد لا تسلي عن بكاى ذا شغلي
لو علمت سفك دمي ما بعدتِ عن مقلي
كيف حلتِ عن كلف عنك قطّ لم يحلِ
وابتعدتِ عن مقل عدن يعد في عللِ
في نواك ياطلبي قد بليت كالطللِ
صرت فاقدا رشدى مثل شارب ثملِ
والهوى على مهل والصبى على عجل
فالشباب زال وما للشباب لم يزلِ
والجمال منكِ اذا لاح فاز بالمقلِ
فاغنميه قبل فنا فالجمال كالدول
وابتلى الفواد ولو لا الرجا لكان بلي
اننى على امل باللقاء والقبل
والممات احسن من عيشة بلا املِ
يابكا مودّعنى نحو اعينى انتقلى
اعينى معودّة في الهوى على الهطل
ذا الوداع اودعنى حرقة الى الازلِ
قد اضعتِ عهد يدي اذ قطعتِ متصلى
ياسعاد لن تصلى للعهود انَ تصلى

ما انا سوى رجل   يستسير كالرجل

رغم ذا الزمان وما   في خطاه من خطلِ

وقد يخامر الحب النكد · ويداهمه الحسد · وتسعى فيه الوشاة · وتحدق به المحاة · فينقلب الحب الى سلوان · والودّ الى عدوان · ويبتدل الوصال بالصدود · والارق بالهجود · ولا يعود للعذل مقال · ولا للنسيب مجال · وحينئذٍ يهتف المجد بصوت السلوّ · ويتكلم بلغة الخلو · شارحًا اسباب سلوانهِ · وبواعث عدوانه · ويحدث عن الانقلاب · كما قلت في هذا الباب

أأذوبُ لا والله لست اذوبُ   ان قال تركٌ قلت ذا المطلوبُ

انى امرؤٌ عف الطباع وليس لى   بهوى الذي لم يهونى تشبيبُ

لا انكرنّ عليهِ حق دلاله   فجماله للناظرين عجيبُ

ولكل عين اعينٌ ترنو له   ولكل قلب في هواه قلوبُ

لكنّ قلبى لا يرن يحب ذي   قلب اصمّ الطبع ليس يجيبُ

وكذاك لم انكر اناسة وجههِ   لكنه شرس الفؤاد غضوبُ

ما لم يكن بين القلوب تبادلٌ   في الحب لا حبٌ ولا محبوبُ

رُح يارسول الى الحبيب وقل له   مات الغرام الك البقا فتطيبُ

ان المحب سلاك فابشر بالمنا   واذهب فانت لمن تشاء حبيبُ

وليهن واش ولنسر حواسدٌ   وليرض لاح وليقر رقيبُ

والله لو لم يدعنى هو اولا   بوداده لوداده فاجيبُ

ماكنت لا والله همتُ بمثلهِ   حبًا ولم يكُ مضنّي التخييبُ

وكيف يرعى كرامُ الطبعِ دون اذى   عهدَ اللئام رعاةَ الخون والخطلِ
والله ان خان ميثاقي الحبيبُ سلا   قلبي وحليتُ جيدَ الحب بالعطلِ
قولوا لمليعةٍ والوردُ يطبع في   احداقها شيم الحيران والثملِ
ضربتِ بالغدر قلب الصب فاندملت   جراحهُ من ضراب الغنج والكحلِ
وقد اخذتِ باركان الهوى فهوت   وقعًا كما اخذَ الغدارُ بالبطلِ
قومي اريني ايا من بالهوى عبثت   وجهًا كستهُ يدُ الابرام بالجبلِ
مالي اراكِ بلا لطفٍ ولا خجلٍ   من بعدما كنتِ ملءَ اللطف والخجلِ
مالي اراكِ الى كلٍّ على طمعٍ   وكنتِ لي بالحيا مكحولة المقلِ
مالي ارى النفس منك الان قد سقطت   على الحضيض وكانت في ذرى الكللِ
ما بال وجهك هذا اليوم ملتفتٌ   لكل داعٍ وداعٍ كل ذي شغلِ
مهلا فلم تدعى نفسًا على طمعٍ   بالوصل منك ولا قلبًا على غللِ
فملٌّ هذا وذا اقوى وذاك سلا   وانت انت بلا سلوى ولا مللِ
وعنك كلٌّ فتى قد عاد مجتنبًا   سوى فتى من بني الاوباش والهملِ
كما تمت ذا الكاشح النذل الهوى ففشى   وراح عن دُبرٍ يزري وعن قُبلِ
من الاعاجم لا اصلٌ ولا حسبٌ   ولا صفاتٌ سوى الفحشاء والزللِ
وحش من الحيوان السقط مفترس   وان بدا بشرا فالمسخُ ذو خللِ
ما كان قط ليرضي ان يرى شرفًا   فطبعهُ من طباع البغل والوعلِ
يريش نبل المساوى والفساد لكى   يرمى الصلاح ولكن قط لم ينلِ
وان يكن بكِ قد تمت رمايتهُ   فانت ممن اصابتهم يدُ الفشلِ
اغنيتهِ عن جميع الناس فافتخري   بذاك يا فخر فرد قام عن جملِ

حسبُ الذباب افتخارا انها شبعت من الفقاع وجاع النحل في العسل
قد كنت لى في مراح العز سارحة تمشين كالليث اعجابا على مهل
والان صرت تجاه الذل مجفلة تسرين كالضب حيري في يد الوجل
فسوف تلقين اهوال الاسى ندماً من حيث القي الاسى عن ناظري جلى
قد كنت اندب حظ منك نضو جوى وها انا الان في ضحك وفي جذل
قد كان يلقاك طرفي مطرقا خشعاً والان تلقين طرفي غير محتفل
واليوم تبكى عليك العاذلات كما قد كنت ابكيك بين العذر والعذل
فلا برحت بافواه الملا مثلا ومنك لا برحت نفسي على جفل
بشراك بشراك بالصيت الذي لك قد بدا فقد سرت بين الناس كالمثل
واستبشري بوقوع الود عنك فذا حلٌ عليك ثقيلٌ غير محتمل
لا تاسفي ان يكن منك الجمال مضى فانّ دولتهُ من اقصر الدول
وهل مرادك الاّ خدع ذي بله فاستبضعى رقع التمويه واشتغلي
يا للزوال خدود الورد قد ذبلت كذاك غارت عيون النرجس الخضل
وقد هوت كل اركان الشباب سوى قلب توطد بالوسواس والخبل
تبادل الصبح والديجور لونهما فابيضٌ هذا وذاك اسودٌ بالعجل
ولم يعد من ملئ الجسم منك لنا سوى جلود على عظم بلا عضل
فلا يغرنّ قومى البارزات فما هذه سوى خرُق شُدّت على قصل
ولا يغشّ فتى هذا الجمال على ذاك الخنا فهو يحكى السن الشعل
وهكذا كل نبراس يضيء له جرفٌ يضمّ ظلاماً بالدخان ملى
تلك الخصال التى زنت قباحتها والحسن قبحٌ على مستقبح الخصل

وجود مثلك في الانثى اتاح لها مقتاً وقد يوخذ المنقود بالذغل
اني وما ضمَّ قلبي من سلوّك لم اعتب عليك فكم لى عنك من بدل
لكنَّ عتبي على قلبي فعادتهُ ان يصحب الناس والدنيا بلا دخل
خذوا من الناس ياذا الناس حذركم فكم من الناس ذيبٌ في كسا حمل
ما عدت اخشى الضواري بعد غدركم انا الغريق فما خوفي من البلل
جيت ذنباً ارى فيه معاقبتي من لى بتمصيح ذنبٍ باهظ الثقل
بنات حواء ما انتنَّ غير بلي على بنى ادمٍ كلٌّ بكنَّ بلى
لكنَّ فضلٌ فكم منكنَّ لى ادبٌ وربما صحت الاجسام بالعلل

ومن ذلك ايضاً

لا تدَّعى ببقاء العشق والتمسى غيرى فاين مزاج الكفّ والنفسِ
العشق لا يدع الانفاس فاترة ولا يغادر لمس الكف كالقبسِ
علمت انك قد خنت الغرام فلا تخادعيني بلين القد والميسِ
ولا تظنى ابتسام الثغر يخدعني فليس لي خاطرٌ في ذلك اللعس
سلكت طرق الهوى عسفاً كذي ذنب من السما او من الشطرنج كالفرس
لذا خلعتُ ثياب الحب مكتسياً ثوب السلوّ ولم البث على هوسي
وقد حملت سلاح الصد عنك لكي اردَّ شوقي فانجو من يد الرجسِ
كونى بغيري في حظ كذا ليكن ذا الغير مستهديا فالتيه في الغلسِ
فسوف يرجع مغدورا على ندم يبكى الدجي وينادى اه واتعس
ما انت الا كريش طاردتهُ بلا رفق يد الريح بين الاربع الدرس
تذكرى حينما اقسمت لى شرفاً بان قلبك عنى غير منعكس

يوما وضعنا بلا فحص يدًا بيدٍ وقد عقدنا عهودا عدنا في خرسِ
اذ لم اكن عالمًا ان العهود جرت من كف مستانس في كف مفترسِ
فلم يكن منك قبض الكف لى علمًا للعهد لكن لخنق الحبّ بالخلس
نعم لخنق الهوى واحسرتاه نعم لقتل ودى نعم للنكث والنجس
مالى اراك تريقين الدموع بلى ذيلي وتبغين منى مرجع الانس
هلا علمت بان الراس منى لم يخضع ولى قدمٌ في الذل لم يدسِ
لا عاد يخطر في بالى الهوى فدعى هذا الفتى امنًا من خلتك الشكس
انذرت قلبي بما اوحى السلوُّ لذا سقطت منهُ كارطاميس من زفس
يكفى فوادى ماقاسى وما احتملت جوارحى من وقود الشوق والهجس
اهًا وواسفى كم قد نثرتُ على هواك لوءلوءَ دمعٍ راح فى البخس
وكم سهرتُ الدجى شوقًا وعينك في نوم فها الان طرفي عنك في نعس
وها عيونكِ قد امست مسهدة ترجو الىَّ وصولا وهي في الدلس
وها غدا اليوم منك القلب ملتمسًا ترجيع عشقى وقلبي غير ملتمس
لا تفرحى ان نظرتِ الوجه مني ذا بشاشة فالهوى تحت البشوش نسى
ولا تظنى اصفراري في قدومك عن خطور حب ولكن عن ظهور مسى
فلا يغرنّكِ لينُ الطبع منىَ او بشاشتى فانا قاسٍ كنبل قسى
كذاك للنظر المراة تظهر من مـاء ولكنها للمس من يبس
دعى دعى ذلك الصبّ الذي فعلت به طباعك فعل الظالم الشرسِ
فلست القى على باغى الاسى نظري ولو يكون بانوار البدور كسى
قد كان يدوى بصوت الوجد قلبي اذ اراكِ والان اضحى جامد النفسِ

وكان ينطق فكري بالغرام بلا صمتٍ فبُدِّل ذاك النطق بالخرس
وكم سفكتُ دموعي او دماي على رجليكِ ارجو الرضا من وجهك العبس
قد كنتِ حزناً لقلبي والهوى نكدٌ والآن صار له السلوان كالعرس
بغضتُ عشقك. حتى لو تجسم لي شخصاً لكنت اريهِ الشنق بالمرسِ

ومن ذلك ايضاً

سُلوّاً فذا كبرٍ عهدتك ياقلبي الم تر انَّ الحبَّ اشرك في الحبِ
الم تر من تهواه مال الى السوى وعنك تخلى ريثما صرت في الركب
لحى الله حباً روحه في يد النوى فما هو الا رمةٌ في يد القرب
وما هو الا خدعةٌ لا محبـةٌ وما اصلهُ ياصاح الا على الكذب
فلا عدت امشي في طريق الهوى فذا طريقٌ به من يمشي اصبح كالضب
طريق العنا والبوس والضيم والضنا وسهد الدجى والسقم والنوح والندب
رايت الهوى مغرى بضربي على المدى فاضربت عنه الصفح والضرب بالضرب
سعـادُ اما والله انتِ وطيدةٌ على الحب لكن طالما الشمل في الصحب
وانتِ على الميثاق ساهرةٌ بلا رقاد ولكن طالما الشمس في القطب
اذا كنتِ ياسعدى كبرت فانت هل صغرت ولم يبرح صباك هوى الصب
وان بصدغيك الغضون لذا الصبى مجارٍ وفي صدغيَّ للكبر والكرب
كانك بالمرآة همت صبابـــة فلم تنظري فيها سوى الحسن والعجب
لعل ذبول الورد عن وجه الصبى نشا فمياه الورد جاءت عن النضب
تعلَّة من ظنَّ الشباب كنجمة على القطب ما زالت تضيء بلا غرب
وهبك شباب العمر دام فهل فتى يدوم على عهد الشباب بلا قلب

وهيهات فالاكوان سوف تحل في قبور الفنا والارض تحرق كالعشب
فذا مشهدٌ لا بدَّ من سدل حجبه زوالا ليبدو غيره من ورا الحجب
اذا كان في باريس كل العلا يرى ففيه لقنسرين كل العلا مخبي
فكلُّ عمار فيهِ رمز خرابهِ وكل خراب عن عمار له ينبي
وفي حزن بعض الناس للناس فرحة وفي قومة المربوب منقلب الرب
وان دخول النفس في الخطب مخرجٌ لحزم النهى فالحزم يحصل في الخطب
وللناس اخلاقٌ وعادٌ وانفسٌ يطاوعن حكم الأين والحين والحقب

ومن ذلك ايضًا

اياكِ اياكِ تأويبي وتقريبي ولازمي لازمي بعدي وتغريبي
وحاولي كل صد عن محادثتي واستقبليني بتزوير الاحاجيب
وان حضرتُ فخطّي في الثري عوضًا عن القيام بتسليم وترحيب
وان نطقتُ فقولي فاه ذو حصر وان رويت فقولي ذو اكاذيب
وفضّلي كل ذي نفس عليَّ فلا ازل منيَ بين المرد والشيبِ
والله لو لم اكن شر الانام لما احببتُ مثلك يا ادنى المحابيب
قابلتِ خيري بشري والوفا بجفا كذاك طابقت تعميري بتخريبي
هيهاتَ يحسب انسانًا لديك فتى يرعى الزمام بقلب غير مقلوب
قد كنت اهواك صافي القلب طيبهُ فلم يرقكِ صفائي لا ولا طيبي
ورحت تهوين نكس القوم باذخة بـه وبدلت مقبولاً بمحجوب
فخان عهدك مقلوبًا عليك ومذ سمعت ذا قلت راح الذيب بالذيب
فسوف تبكي عليك الشامتات كما عليَّ ابكيت عذالي بتعذيبي

وما فترت بسوق الشوق مرخصة ما كان يغليه انشادى وتشبيبى
حتي جعلت عرين الاسد مكلبة ومنزل العهر اخدار الرعابيب
لذا غدوت اروم البعد عنك بلا صبرٍ وقد كنت ارجو كل تقريب
وللفتى طلباتٌ يختلفن على قدر اختلاف الدواعي والمطاليب
ها تبت عنك وعن كل الهوى ابدا وانتِ عنى وعن كل الهوى توبى

غيره

ياعاذلون استريحوا فالشجيُّ خلا وياوشاة تهنوا فالمحب سلا
سلا وبالغ بالسلوان خاطره حتي جرى في الملا سلوانه مثلا
سلا واصبح لايشكو صروف جوًى ولا سهاد دجىً ولا عذاب قلى
نعم سلوتُ نعم عفت الغرام نعم فرَّ الولوع نعم كل العنا بطلا
وارتحت من كل مهذار يلجُّ فقد زال الهوى فازال العذر والعزلا
تلك التى خابت عهدي وقد جلبت علي ودادي لها ما يصدع الجبلا
حسبت ان ودادا عندها ووفا حتي اختبرت فلا ودٌّ هناك ولا
خيانةٌ مزّقت صبرى مرارتها كل الخيانات اضحت بعدها عسلا
بالامس كنت على قومى اتيهُ بها واليوم قد اصبحت عارا عليَّ علا
وكنت اهتزُّ فخرا كلما ذُكرت فصرت ان ذكرت لى انحنى خجلا
لابدع ان استحي من ذكر من ولعت بالقدح بي بعدما اوسعتها غزلا
فلا رعى الله يومًا عهد خاينة قد اشمتت من درى امرى ومن جهلا
أنا الذي بيدي اوقعت نفسى في تلك الفخاخ فان اعتب فذاك على
تعلموا ايها العشاق واتخذوا امثولةً لم تروا يومًا لها مثلا

قضيت كل شبابي في محبة من مذشاب فودى راحمت تطلب البدلا
وما درت ان عصر الياس داهمها وانها قد غدت بين الملا هملا
قدعوضتني بمن دوني لذاك غدت دونًا فياويح من يخط بعد علا
وانكرت قدر معروفي ومعرفتي فصـار انكارها في قلبها وجلا
كانما الذوق يأبى ان يقوم على انثى فليت الاناثى لا ترى رجلا
لاصبرنَّ علي تجديد دولتهـا فالدهر من شانهِ ان يقلب الدولا
فسوف يضحكني صرف الزمان على احوالها وسيبكيهـا اسيً وبـلا
كم اضحك الدهر من باكٍ ينوح وكم ابكى ضحوكًا وكم رقى وكم خذلا

غيره

يليق لذي العجباء ان تتدللا وفرضٌ عليها ان تتيه على الملا
وحقٌ لها ان لا تكلمنى ولا تراني ولا تلقي سـلاما ولا ولا
وحلمٌ لنا منها اذا عفَّ حكمها ولم تجعل الاعلي على الارض اسفلا
فمن قدرها ان تكسف الشمس في الضحى وتخسف وجه البدر في كبد العلا
وتهبط بالسبع الشداد على الثرى وتفصم شمل الكاينات وتفصـلا
وتستوقف الافلاك عن دورانها وتقلب ابراج السمـا وتزلزلا
وتهـدم اركان الطبيعة كلها وتجعل تنظيم الوجود مبلبـلا
وتقلع اطناب السحاب وتنسف الـ جبـال وتبقي واسع البحر جدولا
وتبطش بالاقدار والخطب والقضا وتضرب شرع الكون فردًا ومجملا
وتجدع بالازلال انف الفتى ولو اناف على الجوزاء شأوًا ومنزلا
وتسحق احكام الزمان برجلها وتكسر راس الدهران صال واعتلا

لها البدر نعل والسها فص خاتم وكل الدراري والنجوم لها حلى
فما كل هذا حقها غير منكر نعم كل هذا حقها ولها ولا
نعم كيف لا وهي التي خانت الوفا وبالغدر والابرام قابلت الولا
وقد قذفت بالنكس عهدي ومزقت يمين الهوى عمدا ومدت يد التلى
لذلك قلبي قد سلاها وعافها وها هي بعد العز تعنو تذللا
فياحسرة اسمٍ كان يسند بالثنا فاصبح حرفاً معجم الحكم مهملا

وقال ايضاً

طرقتُ خباها بغتةً يوم تبكيرِ فصبحني وجهٌ كرقعةِ تصويرِ
هناك على المراة كانت مكبةً تموّه خديها بصبغة حنجورِ
فايقنت اني في الهوى كنت والعاً بمسحوق تبييض ومحلول تحميرِ
وكنت ارى اني بمقصورة جوٍ اذا انا اهوى رامحا ضمن حابورِ
مظنة نُبل في محنة هجنة حكت عزف زنبور على وزّ طنبورِ
ولما رايت الشيب في فودها نمى عجبت لصبح لاح في ظلّ ديجورِ
وقلت عساها امسكت ام ضجيعها جفاها فذا تاجٌ على راس مهجورِ
جمالٌ على فرش الهوى مات والشقا احال لهُ مسك الغداف لكافورِ
لك الله من هذا الذي كان طالعاً مع الصبح من مغناك يجري كمذعورِ
فهل خلفٌ لي ذا على فتن الهوى نعم فاعشقي يوماً خلا خلف شحرورِ
نهلتُ انا ماء الصبى منك كلهُ وخلفت للاغيار ماء الحناجيرِ
انا نحلة الازهار اجنى نفيسها خليقا وابقى غثها للزنابيرِ
غدرتِ وهذا الغدر ريحٌ امامهُ انا والهوى طودٌ وريشة عصفورِ

فما انا ممن غدر مثلك مضة　واي كريم في الورى غير مغدور
اذا قلت فالافعال تتلو مقالتي　ولو كنت مطبوعا على كل تقصير
توهم قوم انهم اسد الشرى　وعند التلاقي اجفلوا كالسنانير
اذا قام شاهين الطيور مشمرا　على ساقه خابت ظنون الزرازير
وان هب نسر الجو فيه محوقا　تفرق في الاجار جمع العصافير
يحاول ضرب اسمي الحسود ودونه　زحام الليالي واقتحام الاعاصير
تبوأت باز الدهر في حومة العدى　فرارا فرارا ياصفوف الفرافير
انا بينكم لكنني ضعت بينكم　ورب صحيح ضاع بين مكاسير
فمي وفم الباغي يصيحان انما　بمأذنة هذا وذلك في بير
يحوقل خصمي اذ يراني وصاحبي　يروح بتهليل علي وتكبير
انا صخرة الوادي ازاء معاندي　واعظم خطب للذي رام تحقيري
على انني غيث ثجاج لذي الوفا　وملح اجاج للخؤن ابن خنزير

وقال ايضا

تشاءمت اذ في النوم طيفك وافاني　فياليت نومي لم يعد بعد سلواني
حلفت يمينا لااراك فان اكن　جرحت يميني في الكرى فالكرى الجاني
وماذا يريد الطيف مني وانني　سلوت سلوا عنك ليس له ثاني
فلو مثل الماء القراح لاعيني　خيالك لم اشرب ولم اطف نيراني
سلوتك والدنيا تضج بسلواني　عليك واهلي يعجبون وخلاني
فكل له علم باني كنت في　هواك صريعا ضايعا مدنفا فاني
وكنت اذا انشدت فيك قصيدة　ترامت عليها انفس الانس والجان

فياليت قومي يعلمون الذي جرى مِنَ الغدر والابرام منك لاحسانى
وفيتكِ حتى خنتنى بخيانة تحير من فحشائها كل خوانِ
فها وجهك المنكود يشهد بالذي فعلت وِها ما بين عينيك عدوانى
على انِ ذياك الجمال قد انمحي ولم يبق من ملح سِوى لمح انسانِ
الى م الى م العجب اذ لم يعد سوى شنار وفي المراة عندك برهانى
قضى حسنك الباغي وجنزه القضا وادرجهُ من ذا المشيب باكفانِ
نظيرك دهرٌ ساحرٌ بك غشنى وحير اصحابي يامري واقرانى
لحى الله اياماً بوجدك جزتها فياليتنى ما كنت فيها بوجدانِ

وقال ايضاً

ما غريبى فى الحبِّ غيرُ ثباتي وثباتُ المحب عين الشتاتِ
ليتنى كنت كالحبيب بلا قلـ ـب فلا كان منبت الحسراتِ
لحفاظ الحيوة قد خلق القلـ ـبُ ولكن قلبى لسلب حياتي
ايها القلب قد قضيت مراماً فالى مَ الولوع بالشهواتِ
تب عن الحب والعنا وعلى السلوان ثِب وانجُ يااخا الوثباتِ
كيف ياغالباً اسودَ الردى صر ت اسير الهوى بعين مهاة
عجزت اسيف المصايب عن كسرك حتى انكسرت باللحظاتِ
انت ابكيت اَعين الدهر ذي الغد ر فانّى يبكيك غدرُ فتاةَ
ذلك الحسن يصرع الاسد السا طى ويغزو الكمىّ ذا الغزواتِ
انما الحرُّ لم يغر حسن ذاتِ قطُّ ما لم يزن بحسن صفاتِ
فسلواً ياقلب ان كنت حراً عن قبيح الصفات باهي الذاتِ

ذا حبيبٌ عيناه لم تخلقا الا لرشق الجميع بالنظراتِ
كلما شاب لمّةً شبّ لوءمًا فشبابٌ نـاءٍ وشيبٌ اتِ
ما عليهِ فقد هصرت صباهُ دانيَ القطف طيب الثمراتِ
ثم غادرته فضالـة لون سرسمًا في صحايف الطيبات
يا خليفى في حبه فاتك العهدُ فوات الحبيب عند الفوات
كن امينًا عليهِ من رجعتى حرمة امنٍ من احسن الحرمات
فلمثلى الثبات في كل شوط ولغيرى الترداد في الرجعات
طايرٌ كان في يد الشهم نسرًا وبغاثًا غدا بايدى البغاةِ
هكذا الشاة في حمى الليث ليثٌ وبوكر الذباب جيفة شاة
ربَّ ميتٍ كانه في حيوة عند حيٍ كانهُ في مماتِ

وربما كان السلو هجعة رقاد . وهدنة جلاد . حتى اذا عرض حادث . او زال باعث . تيقظ المحب للحال . ورجع الى جهاد الجمال مستعطفًا برجعتهِ . ومستعذرا عن غفلتهِ . ويستسمح عما مضى . ويستبيع عوض الرضى . وهكذا يرجع بعد نفاره . ويقع بعد فراره . وعلى هذا الحال . قلت هذا المقال

رجع المحب اليك بعد سلوهِ ودنا يروم رضاك بعد عتوهِ
صبٌ راى برجوعهِ كل المنا وكذا رقى كل العلا بدنوهِ
وغدا وضيع النفس بعد علوها وهوى على قدميك رغم سموهِ
والله ما بالغت بالاعراض لو لم يدعُ ذلك منك فرط غلوهِ
واذا غضبت فلم يكن غضبى سوى ثورات هذا الحب حال نموهِ

لم يخل منك وعنك لم يكُ معرضًا قلبي فانٍ اليك كل حنوه
شجر الحيوة وفيه حبك قد جرى مجرى الحيوة فلم اعش بخلوه
لا يالف السلوان صبّ دابه يلفيك في اصاله وغدوه
عوّدت خاطره ا لتصحيح على المدى بهواك حتى زال كل هدوّه
فاذا ثنته عنك فترة صدفة وارتد بعد علمت بعدُ سلوه
فاليك يدنيني الهوى بدنوّه مني ويقصيني الرجا بعلوه
عادي الرجا قلبي وصادقهُ الهوى فاحتار بين صديقه وعدوه

حال البغض

البغض خصم الصلاح . وعدو الاصطلاح . وحليف الفساد واليف الاضطهاد . ومخبل الخير . ومحراث الضير . فهو الداهية الدهما والبلية العظمى . حيثما وجد وجد الشر . واينما تحرك تحرك الضر . وهو اما خلقًا واما تخلقًا فاذا كان خلقًا دُعي البغض الغريزي ويكون صاحبهُ باغض الناس . في كل الباس . فيبغض عموم البشر . ويشتهي لهم كل ضرر . فلا يصادق صديقا . ولا يرافق رفيقا . ولا يواخي ولا يخاوي . ولا يداني . ولا يداوي . واذا أُستعطف نفر . واذا أُستلطف نهر . وغمغم وزجر . واذا حولف مان . واذا عوهد خان . واذا وعد اخلف . واذا قال اجحف . وهكذا فذو البغض يكون من الكل مبغوضا . ومن نفسه مرفوضا . فيستنزل عليه لعنة الجميع . ويستجلب اليه مقت الرفيع والوضيع . اذ يصبح هملاً مهمولا . وسقطًا

مرذولا. ويغدو ذكره عارا واسمه شنارا. ينفر منه الجنان. وتقشعر الابدان

واذا كان البغض تخلقاً انما يدعى البغض الاكتسابي وهو يكون نتيجة غيره من الصفات . كالكبرياء والحسد . والغضب والحقد . فالمتكبر يبغض الذوات . والحسود يمقت الخيرات . والغضوب يبغض الرضوان . والحقود يمقت الغفران . وقد يكون هذا البغض اثر خلفٍ في دين النفس . وافتراقٍ في النوع والجنس . او اثر وفاق الاعمال . واتفاق الاشغال . فيستنهض امةً على امة . ومملكة على مملكةٍ . وبهِ يردي الزارع بالزارع . ويودي الصانع بالصانع ويفتك التاجر بالتاجر . ويضرُّ الاجر بالاجر . وتثور العلماء على العلماء . ويهبُّ الشعراء على الشعراء . وهكذا تنهش هناك انياب المثالب . وتنشب مخالب المسالب . وتسعى افاعي الضغن . وتزأر وحوش الفتن . فينثلُّ عرش الانتظام . ويتقوَّض ركن الانضمام . حتى يهبط كل عماز . ويتشيد كل دمار . فلا ريب ان البغض آفة الكل والبعض

حال الجمال

الجمال هبةٌ الهية . ومنحةٌ طبيعية . فهو مشهدٌ يلذُّ الناظر . ويروق الخاطر . ويستميل الجنان . ويشغل الاذهان . ويستفزُّ التحبيب . ويستثير التشبيب . فحيثما لاح علقت الخواطر . وعشقت النواظر . واجلُّه ما سلم من الصناعة كلياً . وكان جمالا طبيعياً . فلا

ينزل التبليج منزلة البلج . ولا يقوم التزجيج مقام الزجج . ولا يحل التكحيل والتدعيج محل الكحل والدعج . ولا يظهر التوريد مظهر الورد . ولا يبرز التنهيد بروز النهد . وهذه الصفات الباهيه . تغلب في الباديه البدويّه .

سقى الجانب الشرقيّ من حاجر الشبها غمام حمى من شهب ذاك الحمي الشهبا

وحيا الحيا تلك الربوع وجادها فلا وجدت جدبًا ولا عدمت خصبا

ولا برحت تلك المروج زبرجدا ولا زال ذياك الندى لؤلؤًا رطبا

هناك من الاعراب لى بدويةٌ غزت بالعيون الترك والعجم والعربا

مهاةٌ ابت الا السراح مع المهى فتوحش من حاب وتونس من حبا

لها في فواد الصب مرعىً ومرتعٌ ولو رتعت في البيد او رعت العشبا

غناها بياض الجيد عن بهجة الحلى وعن حسن ماء ماء حسنٍ ابى النضبا

فما وردّت خدًا ولا بيضت طلى ولا حمرّت ثغرا ولا سوّدت هدبا

ولا جعدّت شعرا ولا صقلت يدا ولا عرّضت ردفًا ولا ضيقت جنبا

فقد دبجّ الرحمن الوان حسنها وقد نحتت ايديهِ قامتها العجبا

ترائب ساج تحمل الصبح لا الحلى وارساغ عاج تلبس القلب لا القُلبا

ونسرين وجه لا يحول بياضهُ وان يستحل وردا فذا ان رات صبا

اضاربة في مهجتي مضرب الهوى عليكِ بهِ لا بالقلا فهو لا يسبى

وضاحكة والرفق انتِ بمدمعى فدينكِ من ضحك ولو زدتنى كربا

وباديةٌ في طلعة بدويـة يروح لها دمع الحضـارة منصبًّا

فما خضبت منكِ الخدود وسادة ولا نظرت مراتكِ الصبغ والخضبا

ولا شربت عيناك ادمعها ولا ابت شفتاك الخمر في محضر شربا
وما اعنضت عن ردف بقوس وعن ثدي بحشو ولا وقعت في وجهك الكذبا
جمالٌ طبيعيٌ حوى كل بهجةٍ ولطف بديهيٌ سبى العقل والقلبا

وللجمال سطوة كاسر. وهيبة أكاسر. وحكمٌ صائل. وسودد طائل. يذلُّ الكرام. ويعزُّ اللئام. ويخفضُ الكبير. ويرفعُ الصغير. اينما لاح خطف الابصار. واخذ بالافكار. فترتعد لديهِ الجوارح. وتهتزُّ منهُ الجوانح. وتكثر الدموع. ويقلُّ الهجوع. وإبان تملك كانت فرايضه الالام. وجزيتهُ الاسقام. واوضاعهُ الوساوس. وشرايعهُ الهواجس. فهو ملكٌ ظلوم. وبطلٌ هجوم. يطلب علي الكل السياده. ومن الكل العباده. ولذلك لا يفتر ثوران القلب عليه. ولا ينكف عجيج الخواطر لديه. مع ان دولتهُ اقصر من يوم الفرح. وزوالهُ اسرع من مرور الشبح. فما هو الا عرض مفارق. وطيف طارق

سطوة الجمال

للحسن حكمٌ لا يردُّ وسوددُ يغزو القلوب وما على يده يدُ
فاذا بدا برقُ الجمال لذي الهوى لم يبقِ فيهِ سوى فواد يرعدُ
سبحان من خلق الجمال فانهُ ملكٌ لديهِ كل قلبٍ يسجدُ
كن يافواد على الصبابة ثابتاً فلكم بها من لذةٍ تتجددُ
واخضع لاحكام الغرام ولا تطع حكم العذول فانهُ لا يحمدُ
واذا الفتى ما ذاق الام الهوى لم يدرِ لذات الهوى اذ توجدُ

لا بدَّ من الم يضيم ولذة عرضان بينهما الجواهرُ تفسدُ
طعنت فوادى قامة ودمي بهِ طرفٌ فذي رمحٌ وذاك مهندُ
كبدي بنار الحبِّ قد ذابت ولا عجبٌ فكم في الحب ذابت اكبدُ
غلبَ الغرامُ عليَّ حتى انني ابغضت عيشي وهو عيشٌ ارغدُ
لا ابتغي صبرا على الم الجوى فالصبر يسلب همتي وبددُ
افريدة الاوصاف رفقًا بي اذا غلب الهوى فانا المحبُّ المفردُ
كم في الطبيعة من عجايب جمة لكنَّ اعجبها بوجهكِ يوجدُ
لك طلعةٌ غراء قد نفت الكرى عني فويح نواظر لا ترقدُ
لا تنكري في الحب طول تسهدي فالبدرُ يشهد لي بهِ والفرقدُ
لم يحلُ غيرك لى فمهما تامري افعل فاني بالهوى مستعبدُ
انى سجدت لشمس حسنك فاسجدي بتقى لنارِ هوى بقلبى توقدُ
فانا اله العشق جئت مولعًا بكِ يا الهَ الحسنِ وهوَ الامجدُ
لكِ في الهوى قلبٌ كقلبي واجدٌ . وعليهِ يوم الشمل عينك تشهدُ
قلبانِ منا يخفقان على اللقا والشوق بينهما يقوم ويقعدُ
فخفوق قلبي مكمدٌ ومصفرٌّ وخفوق قلبك مبهجٌ وموردُ

ومن ذلك

ملكت فوادى ربة الحسن البديعِ والحسن سلطانٌ يصول على الجميعِ
تلك التى اعراضها ابدى الخفا منى بدمعى وهوَ ضمن خبا منيع
عذراء عودها النفار تدللا ابدا وعودنى مداومة الخضوع
واذا الفتى هوىَ الملاح تهذبت اخلاقهُ وغدا اخا طبع وديع

واليوم اني قد هويت بديعةً فاقت محاسنها على القمر الرفيع
غرس الجمال بخدها ورد الصبا واجل فوق جبينها ورد الربيع
ياعاذلي ذر عنك لومي انني قد ضقت ذرعًا بالمحبة والولوع
حتى مَ انت تلومني بهوى التي لعيونها ضعفت قوى الاسد الشجيع
يامن اشعة حسنها اندفعت الى عقلي وكان القلب زاوية الوقوع
لاتحجبي انوار ذاك الجيد عن عيني فكم حلتهُ من درر الدموع
بالله ما هذه القساوة والقلا شردت صبري والهوى ملءُ الضلوع
لاتسمعي مين الوشاة فكم وشوا بك ياضيا عيني ولم اكُ بالسميع
ذو الحبِّ لايثنيهِ عن محبوبهِ واشٍ ولا عذلٌ اتاهُ من الجميع
فبحق قتلك بالصدود اخا الهوى عن اي شيءٍ جئت بالهجر المريع
هل عن دلال ام ملال ام قلى ام رمتِ تجربة لعبدك ذي الخضوع
او تجعلين الهجر تجربة لمن يقضى به حاشاك من هذا الصنيع
لا تحسبي اني سلوتك منيتى كيف السلوُّ وما لجفنى من هجوع
قسمًا بنهدك والترائب واللما لم اسل طلعة ذلك الوجه البديع
فكفاك ذا الهجران للصبِّ الذي غادرتهِ بهواكِ ملقى كالصريع
من بالهوى خلع الحياء وعافهُ خلع الحيا في وقتهِ شان الخليع
جودي على هذا القتيل بنظرة يحيى بها من ذلك الوجه اللميع
لما رات ذلى لها وتخشعي ضحكت وقالت ما ورا هذا الخشوع
ان كنت تصدق بالمحبة يافتى فاصبر على هجر الحبيبة بالقنوع
فعساك تحظى بالوصال وربما قلبي الرفيع يرقُّ للصب الوضيع

ذو العقل لا يكُ مسرعًا بمسيره   في كل شوط ياأخا القدم السريع
والشمس في راد الضحى تمشي على   مهل وتسرع في المغيب وفي الطلوع
فاجبتها والله انى صادقٌ   بالحب مالى عن ودادك من رجوع
ان الهوى مثل الهواء زحامهُ   من كل ناحية بقلبي والضلوع

ولا يحسن جمال الذات . على قبح الصفات . على ان جمال المخبر قبل جمال المنظر . وحسن الطباع . قبل حسن الرقاع . فلا يروق الناظر بياض المحيا اذا ساءُ سواد العمل . و يضحك بياض السجايا علي سواد الكحل . وهل يطيب ورد الوجنات . على شوك الحركات وجودة الاسنان . على خبث اللسان . وفصاحة الالحاظ . على ركاكة الالفاظ . وحسن المباني . على سوء المعاني . فلا جمالٌ قبل الكمال ولا اقوالٌ قبل الاعمال

دع رونق الخلق وانظر رونق الخُلقِ   حسنٌ بلا ادبٍ زهرٌ بلا عبقِ
واعشق بياض المزايا والصفات ولا   تحفل بعشق سواد الشعر والحدق
فهل يروقك ثوبٌ لاق منظرهُ   يومًا اذا كان مصنوعًا من الورق
اليك عنى جميلا لا جميل له   ان روّح العين ابقى القلب في قلق
هيهات ينطق قلبي بالغرام على   حسن اصمّ بلا حس ولا نُطق
اذا اقتصرنا على عشق الجمال فكم   لفينس صنمٌ مستوجب العشق
والخمر للعين تحلو منظرا واذا   لم تحلُ فعلا فللتهويع والحرق
وكم قدودٍ بدت كالنخل في سعة   وضيقة وهي عظمٌ قام في خرق
هيا كلٌ من عظام لا لحوم لها   تلحمت بجلابيبٍ ولم تطق

حال الحيوة

الحيوة مصدرٌ يشتقُّ منهُ نظام الاكوان الطبيعية . واصل تنبعث منه حركات الكاينات العضوية . اذ بهِ تحفظ الجامدات نواميسها وشرايعها . وتحرس الناميات اشخاصها وطبايعها . فهو التثاقل والتبادل للاجرام السماوية . والنمو والتغذية للاكوان الالية . والحس والانتقال للخلايق الحيوانية . والاشعار والادراك للطبيعة الانسانية فبالحيوة يدخل المتحرك في العلاقة مع المحيطات الاجنبية ويستبضعها اغراضه الحيوية . فبقدر الادراك تتسع الشقة وبمقدار الاشعار تعظم المشقة . ولما كان الانسان جامعًا كل الادراك والاشعار . كان اعظم حامل لاثقال تلك الاثار . وهكذا تكون حياته حيَّةً عليهِ . ووجوده عدمًا لديهِ . حتى اذا ما بلغ حدَّ الانصرام . راى ذاتهُ خيالًا مرَّ في ضغث الاحلام . على فراش الاوهام . اما بناء حيوة الانسان . انما يتوقف علي اربعة اركان . وهي العمل . والملل . والصحبة . والامل

العمل

كلٌّ يعمل لحث راحلتهِ . ولكلٍ عملٌ على شاكلته . فلما انتقل الانسان من الوحشية الى الانسية . ومن الطبيعية الى الادبية اثبت له ذلك الانتقال . وجوب الاعمال . ونادتهُ الجماعة حيَّ على التعامل . فمن لا يوثر ان يعمل لا ياكل . فاندفع كلٌّ الى الخبط في مهنتهِ . والغوص في حرفتهِ . فذهب يعارك الجامدات كل كثيف

ويباشر الصنايع كل خفيف . ويمارس العلاقات كل عليل مقطع ويتاجر بالبضايع كل كليل مبتدع . ويستقصى الموجودات كل دقيق مخترع . وهكذا قد انخرط الجميع في سلك الارتباط . وغرق الكل في لجج الاختباط فكلٌ طايرٌ على اجنحة الطيش . ليقطع افاق العيش . فترى البعض يشكو الكلال . والبعض يندب الملل . وهذا يتوجع في التعب وذاك يتفجع من الوصب . فاعينٌ تبكي من العسر . وافواهٌ تضحك من اليسر . والزارعون يتحملون بشح الجدب وعليه يأتمرون . او يتبجحون بسح الخصب فيغتبطون به ويتطوبون . والصانعون يستنظرون الطلب فيحمدون الشبع او يذمون السغب . والتاجرون يحشرون البضايع . ويرقبون الطلايع ويعومون في السوق . ويغرقون في الصندوق . ويرصدون افلاك الدواير . ويترصدون طوالع الدفاتر . فكم اخطأت اسهم الحفره . ولم يصب سهمهم الثغره

الملل

وبينما يكون الانسان لاهيًا عن نفسه باعماله . ومشتغلا عن رمسه باشغاله . يداهمه شيطان الملل . ويوسوس في صدره عند كل عملٍ . وربما يغلب عليه هذا الروح . حتى يغدو نديمه في الغبوق وفي الصبوح . وسميره في الهجر والوصال . ورفيقه في الحل والترحال . فاينما رحل رمح امامه . واينما حل كان خيامه . وحيثما لفت وقفٌ قدامه . وهكذا يكون الملل المًا في الملذات . وغما في

المسرات · وترحاً في الافراح · وفرحاً في الاتراح · فهو حادى الاجل وشادي الوجل · وابن الاعمال · وابو الامال

الامل

واذ يكون الانسان ساقطاً تحت ثقل الملل · وهابطاً في وهدة الوجل . تبسط له الامال يد الخلاص وتلقي له الاوهام حبال المناص فيضجع على سرير الاحلام · ويضرب في وادى الاوهام . فيصعد بفكره من غرفةٍ الي غرفة · وينتقل من حرفةٍ الي حرفة . ثم يرتقي من صغرى الي كبرى · ومن نتيجةٍ الي اخرى . حتى يبلغ من غناءٍ الى غناء ومن سناءٍ الى سناء · ولم يزل الى ان يرى ذاتهُ مالكاً كل الاشيا . وسلطان كافة الدنيا · وفيما يكون طاير فكره حايماً في تلك الزروه · ومفردا بهاتيك الثروه . ينقض عليهِ باشق البطلان · ويرجع به الى حيث كان . فيغيب عنه كل خيالَ · وينغلق دونه مرسح الامال . فكلما ذهب امل . جاء امل . وكلما غنت خيبةٌ رقص وجل · وعز الدهر وجل . وبالامال يعيش الانسان · وبالاوهام تحيى الاذهان ولكل سنٍ مامولات · وعلى كل مامولٍ مقولات · اما الامل فهو تسلية الانسان · وتعزيته في الاحزان والحدثان · وحلاوته عند الزعاق · وغناه يوم الاملاق · ويسرة في العسر · وكسبه في الخسر · وسميره وانيسه · ونديمه وجليسه · ولا تفرط سلسلة الامل · الا في بيت الازل

الصحبة

لما كان ليس يحسن ان يعيش الانسان وحده · اتخذ لهُ امراةً تكون عونهُ ورفده · فيخدمها في العيال · ويستخدمها في البعال · فالمرأة خير الاصحاب · واطيب الاحباب · ولا تطيب الحيوة الا بها · ولا يصحبُ سرور الا باصطحابها · وهي الشريكة في تقويم الحيوة الطبيعية · والرفيقة في تثبيت الحيوة الادبية · فاذا كانت صالحة كانت فخرة لاهلها ونعمة لبعلها · واساسًا لدارها · ومركزا لمدارها · وتهذيبًا لذويها · وتاديبًا لبنيها · وغنىً في الاقلال · وراحة في البلبال · وسترا للطالحات · وكشفًا للصالحات · واذا كانت شريرة انما تكون ذلا لاهلها ونقمة لرجلها · وزلزلة لدارها · وزعزعًا لمدارهـا · وشكا لذويها · وعثرة لبنيها · وفقرا في الغنا · وغما في الهنا · وفضيحة للمعايب ونميمة ومثالب · وهذرا ومذر · وغمزا وشذر · وانتقالا من وحلة الى طمس ومن رذيلة الى دنس · فهي تناجي بارماز الميل · وتحاجي بالغاز الليل · حتى اذا ما جاشت فاجهشت · وبشت فهشت · رجعت مخادعة بلحظ يغزل رموزا · ومخادنة بقلب يحيك نشوزا · فمخفوضٌ ينصب شراكًا · ومقصور يمدُّ شباكًا · فتكون شرَّ الاصحاب · واخبث الاحباب · الا للباغي والطارق · واللاغي والمارق · ومن شان الانسان الميل الى الاصحاب · والولوع بالاصطحاب · ليتأسى في الشده ويستانس في الوحده · على انه لا يستطيع اللبوث على الانفراد · والقرار في الامور الشداد

فمن الاصحاب الصاحب الوفيّ وهذا يكاد لا يوجد لشدة ندارته

فهو الموافي في الشدايد . والموالى في العوايد . والمقترب في الابتعاد . والمصلح في الفساد . والصافح في الذنوب . والسامح في العيوب . والمسعف لدي الاقتضاء . والمعين في روع القضاء . والثابت على كل اضطراب . والراسخ في كل انقلاب

ومنهم الصاحب الغرضي وهو من يصحب لغرضٍ متى بطل بطلت صحبته وربما انقلب الى عدوٍ مبين . وداءٍ دفين . فيرتدٍ على صاحبه بالاضرار . و باذاعة الاسرار . ليهتك كل سترٍ مسدول . ويمزق كل حجاب مسبول . فيثلب وينمّ . ويقدح ويذم . حتى يكون فمهُ مملوًا مرارةً ولعنه . وقلبهُ ينقلب على ضغينة ونقمه . فحذار حذار . وبدار بدار

وقد قيل

عدوك من صديقك مستفادٌ فلا تستكثرنّ من الصحاب
فانّ الداء اكثر ما تراهُ يكون من الطعام او الشراب

وربما اعقبت الفةٌ زوال اغراض . وقام جوهر عقب اعراض . فيتلو ذلك صحبة جديدة . وتنشاء صداقة حميده . الى ان ينقلب القلب العديم الثبات . ويغفل الود الكثير السبات

ومن اصحاب الاغراض يوجد المملق . والراهن . والمطرىء والملاسن . والناصح بالاباطيل . والهادي بالاضاليل . والساعى بالخير على قدم الشر . والمهم بالنفع على همم الضر . ومنهم الصاحب البسيط وهو مَن لا يفي ولا يخون . ولا يهتك ولا يصون . ولا يحب ولا

يبغض . ولا يقبل ولا يرفض . فلا يتقاعس ولا يحفل . ولا ينشط ولا يكسل . ويتوجه حسب البواعث . ويتحادث طبق الحوادث . فلا تهمهُ حضرة ولا معاينه . ولا تمضهُ غيبة ولا مباينه . فهو يصلح للمنادمة والمجالسه . والمفاكهة . والموانسه . على انه نعم نديم مسامر . وخير جليس محاضر

فهاك حيوة الانسان . وما فيها من الاركان . هذا عدا ما يتخللها من العاهات والاسقام . والهموم والالام . على ان الحيوة هي عرضة المصائب والبلايا . وغرض المتاعب والرزايا . حتى يكاد ان يكون وجود اللذة في عدم الالم . وحصول النعم في زوال النقم . وربما كان اعظم اللذات . طليعة لهجوم الحسرات . ونذيرا يهتف بالمضرات

غرور الحيوة

أهذه حياتي بئس عمري وايامي | عذاب هموم في عذوبة اوهام
وما هي لذات الحيوة وكلها | بكور خطوبٍ او اصائل اسقام
يروم الفتى نيل الرجا كلما ارتجى | وطالب معدوم كطالب اعدام
سريع وقوع ظن انّ مطيره | يدوم فغنىّ كالسهام من الرامي
فما هو الا الخلدُ يبصر عندما | يموت وفي ريع الحيوة هو العامي
ارى الناس في الامال غرقي وكلهم | سيمضون اشباحًا باضغاث احلام
فما هذه الدنيا لدى عين خبرتي | سوى مرسح والكل يلعب قدامي
نعم مرسحٌ لكن وراءَ ستاره | تساق البرايا للفنا سوق اغنام
عناصر في دور الوجود تسلسلت | فتنحلُّ من جسم لتركيب اجسام
هو الموت بلوي فاه كي يمضغ الملا | وفي جوفه لم ينهضم غير اعوام

تسير بنا الايام وهى تضلنا مسير لميع الآلِ بالتايه الطامى
فما خُلِق الانسان الا لجعله على هذه الدنيا ملاعب احكام
فتخرجهُ الدنيا ليسعى لها بها خروج بخار السفن من بحره الطامي
ومهما اذاع المرء ضوضاء نفسه فما ذاك الا رعدةٌ بين اكامِ
وليس يعيش المرء الا لغيرهِ ولا يجهدنّ القوم الا لاقوام
يذبُ الفتي عما له بيدَ انهُ يذوب مداسًا تحت ارجل ايام
وتحمى من اللثم المليحة وجنة سيأكلها في حفرةٍ دود اعدام
تخالفت الاطوار بين الملا على طريق البلي والكل يجرى بالهام
فذاك اخو بوءس وذا ذو هنًا كذا هناك صفا عرسٍ ونوحٌ هنا دامى
فياخطةً خطت على كل خاطر سطور ملذاتٍ باقلام الام
ويافلتة قد طيشت كل ذى نهى وهبت باذهان وطارت بافهام
عقولٌ حيارى في الوجود واعين سهارى وارواحٌ سكارى بلا جام
فصبرًا بنى حواء صبرًا واننى اقول لكم صبرا ولا صبر قدامى
حياتكمُ موتٌ زوامٌ وموتكم حيوةٌ وما اعمالكم غير اثامِ
وما حظكم في الارض غير العنا وما حقايقكم الا عوارض اوهام
صحبتُ بنى الدنيا فلم ارَ عندهم سوى نفق ساعات على جمع ارقام
وفي صحبة الارواح مدرسة يرى جهولا سوى فهمها كلُّ فهامِ

حال الموت

الموت خاتمة كل الاحوال . ونهاية الاعمال والامال . فلم تزل

الفواعل الطبيعية . تصادم مجال الحركة العضوية . ولم تبرح الاكوان الخارجية . تعارض مجرى الاعمال الحيوية . حتى ينقطع الواصل . ويتفرغ الحاصل . اذ يكون الظاهر . عاث بالباطن . وعبث الراحل بالواطن . فينحطُّ الركن العضوي . ويندكُّ الوطد الحيوي . حتى اذا ما تغلَّب التحليل على التمثيل . وترجح التفصيل على التوصيل . بطلت عوامل الاحساس . وهبطت صواعد الانفاس . وسكتت ضجات الافكار . وسكنت حركات الابصار . ولم يعد في الذهن تمثال ولا في اللسان مقال . اذ يبرقع العدم محيًّا الوجود . ويطفي الخمود . اعين الوقود . ويضرب السكون هام الحراك . ويصفع السَدَر قذال الادراك . وهكذا تستولي ظلمات الحنوف . وتجدع شوامخ الانوف . فلا سيف هناك ولا نجاب . ولا تبهنس ولا اعجاب حيثما يبتلع الكل فم القبر الفاغر . ويهضم الجميع جوف التراب الداغر . فهناك تتخذل الرؤوس المترقيه . وتعفّر الوجوه المتنقيه . وتغور العظمات . وتمور الكرامات . ويتمزق البرفير والارجوان . وينكسر كل قضيب وصولجان . وتتساقط الاكاليل والتيجان . فترى الارامس تنطبق على القصور . والسرادق تنطوي في القبور . والتابوت . يحمل المعركات . والدركات تعلو على الدرجات . هناك تسكت ضوضاء النفوس . وتخرس رنات الكؤوس . وينتثر عقد الاعمال . وتنفرط سلسلة الامال . وترد جوامح الجوانح . وتصد طوامح الجوارح . هناك يروى الجمود عن الهيبة . وتضحك على الشهود افواه الغيبه .

وتبكى على المطامع عيون الخيبه . هناك يقبح منظر الجمال . وينقص كل كمال . فيسيل على ورد الخدود كافور المنون . وياخذ سكون الموت بحركات العيون . وينشمر الاقنى . وينشدق الالمى . ويكفهر الاسني . حتى يعود اللطيف كثيفًا . والظريف مخيفًا . والانيس وحشيًا . والجليس سئيًا . والمعشوق مهجورًا . والصديق مغدورًا هناك تسلو العشاق . وينفر المشتاق . ويتقاعس الطالب . ويقشعر الراغب . ويسبك الكل في قالب النسيان . ولا يعود يذكر الانسان وهكذا يسترجع الجماد الى حوزتهِ . ما استعاره الحيوان في عوزتهِ

خاتمة الكتاب

في الحقيقة

الحقيقة معلومٌ وجودى . او تصديقٌ تصوري . وكل حقيقة لا بدَّ من كونها اما اوليةً اوقضيةً فالاولية هي حكم لا يحتمل الردّ . والقضية هي حكم يحتمل القبول او الرد . فاذا قلنا القمر جرمٌ انما يكون ذلك اولية لعدم احتماله الرد . واذا قلنا القمر مسكون انما يكون ذلك قضية لاحتماله الرد اذ لا يوجد حجة قاطعة

والحقيقة تنقسم الى طبيعية وادبية . اما الحقيقية الطبيعية فهي امر ثابت الوجود في نفس الطبيعة . او متجددٌ بين حوادثها كثبوت وجود الشمس وتجدد حصول الفصول . اما الحقيقة الادبية . فهي امرٌ وهمي يوخذ على التصورات العقلية وحوادثها . اوعن شرايع

النظام البشري · كحقيقة نفع العلم وضرر الجهل

والحقيقة الطبيعية تنقسم الى اصلية وفرعية · وفاعلية وانفعاليــة ولازمة ومتعدية · وذاتية ونسبية · والية وعضوية · وجوهرية وعرضية

والحقيقة الادبية تنقسم الى وجودية · وعدمية · واصلية . وفرعية · وحقيقية ومجازية

في الحقيقة الطبيعية الاصلية

ان الحقيقة الطبيعية الاصلية · هى معلوم يستمد حكمهُ من اصله الطبيعي وذلك كما اذا قلنا · المغناطيس يجذب الحديد والهواء يحمل الصوت · والعصب الة الحس · فان جذب المغناطيس للحديد وحمل الهواء الصوت والعصب للحس هى حقايق طبيعيه اصليه لعدم استمداد احكامها من غيرها فتامل

في الحقيقة الطبيعية الفرعية

ان هذه الحقيقة هي عكس المتقدمة لكون حكمها مستمدًا من غيرها · اى من حقيقه اصليه . وذلك كما اذا قيل · لا تميل الابرة الا الى الجنوب . ولا صوت في عدم الهواء · واذا انفلج عضوٌ بطل حسهُ فان هذه الحقايق تدعى فرعية . لكون احكامها مستمدة او متفرعه من الحقايق الاصليه المتقدمه · وهى وجود كثرة المغناطيس في القطب الجنوبي وكون الهواء يحمل الصوت والعصب الة الحس فتبصرّ

في الحقيقة الطبيعية الفاعلية

الحقيقه الطبيعيه الفاعليه · هي معلوم متى ذُكِرَ احدث في الذهن

صورة معلوم طبيعي اخر لوجود علاقه فعليه بينهما كما اذا قيل الحرارة تذيب او الخمرة تفرّح فان ذلك يستوجد في الذهن حصول صورة جسم يذوب ونفس تفرح · على ان الاذابه والتفريح افعال تستوجب لها مفعولات يدركها الفهم من طبيعه الفعل نفسه وقس على ذلك

في الحقيقه الطبيعيه الانفعاليه

ان هذه الحقيقه هي عكس المتقدمه · لانها معلومٌ متى ذُكِرَ اقام في الذهن صورة حقيقيه فاعليه لوجود تلك العلاقه الفعليه نفسها وذلك كما اذا قيل · الارض مستنيره فان ذلك يحدث في الذهن صورة الجرم المنير لها · وهكذا في قولك الثمر ماكول والزهر مشموم ونحو ذلك

في الحقيقه الطبيعيه اللازمه

ان هذه الحقيقه الطبيعيه اللازمه هي معلومٌ يستقر حكمه في نفسه بدون ان يتعدى الى غيرهَ لانقطاعه عن كل صلة اجنبية · كقولك جبلٌ عالٍ وادٍ عميقٌ · وماءٌ جارٍ · وصخرٌ جامد · فكل ذلك حقايق طبيعيه لازمه · لا يدخل في قيامها اشياءٌ اخر واحكامها مستقرة فيهـــا

في الحقيقه الطبيعيه المتعديه

ان الحقيقه الطبيعيه المتعديه هى معلوم يدخل في حكمهِ امور اجنبيه عنه · بحيث لا يمكن قيامه بدون اتصاله الى غيره وذلك اما باداة او بغير اداة · فالحقيقه المتعديه باداة هي كقولك السحاب مخيمٌ ·

والنهر حايل · والجذب وسيط · فان تخييم السحاب يستوجب اشيا يقوم عليها ويتم باداة الاستعلا . وهكذا النهر الحايل يقتضي موضوعات يحول بينها ويتم باداة الفصل وكون الجذب وسيطا يلزم كونهُ واسطه تُجمع الاجسام المتفرقه ويتم ذلك باداة ذهنيه وهي الربط او الضم · وعلى ذلك تعرف كل حقيقه متعديه بالاداة وما يتعدى بغير اداة اي رأساً هو كقولك سم قاتل فان القتل يتوجه من الفاعل الي المفعول راساً بغير واسطه فتامل

في الحقيقه الطبيعيه الذاتيه

ان الحقيقه الطبيعيه الذاتيه هي معلوم ياخذ حكمهُ من ذاته لا بالنسبه الى غيره · كما اذا قيل الارض كرويه فان الحكم بكرويه الارض قد اخذ من ذات شكلها · من دون وجود ادنى نسبه

في الحقيقه الطبيعيه النسبيه

ان هذه الحقيقه هي عكس المتقدمه · لانها معلوم ياخذ حكمهُ بالنسبه الى غيره · وذلك كقولك اشرقت الشمس واغربت · فان شروق الشمس او غروبها انما يتم بالنسبه الي حركه الارض على محورها بحيث لولا هذه الحركه لما حدث شروق ولا غروب · لكون الشمس تعتبر ثابته على مركز دايرة البروج · وما يدور من الشرق الى الغرب الا الارض علي محورها · ولذلك فالمسير اليومي للشمس انما هو حقيقه طبيعيه نسبيه وقس علي ذلك

في الحقيقه الطبيعيه الاليه

الحقيقه الطبيعيه الالية هى كل معلوم يحتوي في طبيعته عمل الالات الصناعيه . وهذه الحقيقه تقوم اما بالاسناد او باضافه السبب الى مسببهٖ او بنعته بهٖ او بغير وجوه . كما لو قيل الكهرباءُ ممزقةٌ او زلزلة كهرباء . او تكسيرُ كهرباءى . فلما كانت الكهرباء تحوي في طبيعتها هذه الاعمال الالية . وهى التمزيق والزلزال والتكسير . كان كلٌ من تلك الامثال حقيقه طبيعيه الية

في الحقيقه الطبيعيه العضويه

ان هذه الحقيقه هى كل معلوم يوخذ من حصول موثرات وتاثيرات بين الطبايع العضويه وذلك كما اذا قيل الخمر مهيجٌ . والافيون مسكّنٌ . والنور منبهٌ . فان كل ذلك تراه حقايق طبيعيه عضويه . ماخوذة مما يشاهد من تاثير طبيعة الخمر على طبيعه الاعضا بالتهيج وهكذا الافيون والنور بالتكسين والتنبيه . وعلى ذلك تجرى كل حقيقه طبيعيه عضويه اما بالاسناد كقولك الخمر مهيج او بالاضافه كقولك تسكين الافيون او بالوصفيه كقولك تنبيه نوراني او بغير وجوه

في الحقيقه الطبيعيه الجوهريه

ان الحقيقه الطبيعيه الجوهريه هى كل شيء يقوم في ذاته بدون ان يكون عارضًا عن غيره . وذلك كما اذا قيل . هذا ذهب . فان الذهب جوهر قايم في ذاته غير عارض عن شيء اخر . وهكذا في قولك انسان . وحيوان . وشجر . ونحو ذلك

في الحقيقه الطبيعيه العرضيه

ان هذه الحقيقه هى كل امرٍ يعرض عن غيره . ولا يكون موجودًا بذاته فيكون عكس المتقدم . وذلك كالثقل . والبرودة . والظلمة . فان الثقل ليس له وجود ذاتى في الطبيعه بل هو امر يعرض عن جاذبية الارض للاجسام التى على سطحها . وهكذا البرودة والظلمة . فالاولى تعرض عن ذهاب الحرارة . والثانيه عن ذهاب النور . ولذلك فالثقل والبرودة والظلمة هى حقايق طبيعيه عرضيه

كلام على ما تقدم

لما كان مدار الحقايق الطبيعيه يقوم على المعلومات الوجودية الخاضعه للادراك الحسي والعقلي . كانت منزلتها اعلى من منزلة الحقايق الادبية التي لا تدور الا علي التصديقات التصورية الخاضعة لاحكام العقل الهفوي واوهامه بدون علاقة مع احكام الحس المعصوم . وهكذا فالحقايق الطبيعية تشتمل على الصحه والقبول بديهيًا غير محتمله ما تحتمله الحقايق الادبيه من النضال والجدال والقبول والرد . فلا يسع العين انكار وجود النور . ولا تحتمل الاذن جحد رنين الاصوات . ولا يمكن الشم رفض وجود الروايح . ولا يطيق الذوق نفي الطعم . ولا يستطيع اللمس جهل الملموسات . ولذلك فاصحاب الحقايق الطبيعيه لا يختلفون في احكامهم الا عرضيًا لانهم لا ياخذون احكامهم الا من طبيعة المحكومات الراهنة . ولا يقبلون حقيقةً ما لم تقم لهم الحجة على صحتها من نفس طبيعتها . ولا يبنون

براهينهم الا علي المشاهدة والعيان فتكون كل قضاياهم اوليات اساسية بحيث لا يحفلون اصلا بما تحتفل به تصورات العقل وتبتدعه اغراض الاوهام

ويدخل في مبحث الحقيقة الطبيعية كل الحقايق الحسابية والهندسية والمنطيقية والفوق الطبيعية لثبوت اصولها ورسوخ قواعدها وصدق نتايجها المطردة فانه يستحيل الا يصدَّق . قولنا ثلاثةٌ في ثلاثةٍ تسعة وقولنا حاصلا مضروبٍ فيه متساوٍ متساويان في خارج قسمتها عليه ومتناسبان . وقولنا حاصل ركني الوسط يعادل حاصل ركني الطرف في النسبة الاربعية الاركان . وقولنا في الهندسة منفرجة وحادةٌ تعدلان قايمتين . والمنحني يصنع قوس دايره والاقطار الماره من المحيط في المركز هي متساويه . ومن كل ضلع معلوم وزاوية معلومه يخرج مجهول وقولنا في المنطيقية المتناقضان لايجتمعان ولا يرتفعان . وفي الفوق الطبيعية الله موجود والنفس بسيطة وكل الحقايق الدينية المدروجة في الوحي الصادق والمسنودة اليه فكل هذه الحقايق لما ان تدخل في مقام الحقايق الطبيعيه لاشتراكها معها في الثبوت والرسوخ والصدق

في الحقيقة الادبية الوجودية

ان الحقيقه الادبية الوجودية هي تصديق تصوري يستنتجه العقل من تصورات يستفيدها من الحوادث المخبورة والمسموعة وذلك كحقيقة نفع العلم وضرر الجهل . فان تصور العلم المستفاد من الخبرة

او السماع وتصور النفع المستفاد منهما ايضًا يطبعان في الذهن تصور علاقة ادبية تضم النفع الى العلم ضم المعلول الى العلة . وهكذا يحكم العقل بكون العلم نافعًا ويكون حكمهُ هذا حقيقة وجودية ادبية . فقولنا حقيقه انما هو لكون نفع العلم صحيحًا . وقولنا وجودية . انما هو لكون هذا النفع موجودا وقولنا ادبية انما هو لكون هذه الحقيقه قد تولدت تصوراتها تولدًا وهميًا غير مشتمل على تماثيـــل حسية نظير الحقايق الطبيعيه

في الحقيقه الادبيه العدميه .

ان حصول هذه الحقيقه هو عين حصول الحقيقه المتقدمه ولكنها تختلف من جهة كونها ماخوذة عن حوادث كاذبة غير حقيقيه . وذلك كحقيقه ظلم الدهر واصابة العين والارتباط ما بين اعمال الانسان وحركة الفلك وزوس اليونانيين وابو هول المصريين . وبرهمة الهند وما شاكل ذلك . فان كل هذا كان يعتبر عند اهله كحقايق وجودية صحيحة . مع انهُ عدميٌّ لا اصل له . فان الدهر كلمة لا يوجد لها معنى لعدم دلالتها على شي وجودي لان الدهر ليس شيئًا . وهكذا ظلمهُ . وكل الحوادث التى ينسبها الناس اليه . انما هم خليقون باستحداثها . فلا دهر الا اعمالهم وشرايع هيئتهم وهكذا في اصابه العين وهلمّ جرا . فان العين موضوعه للبصر لا للاصابه . والفلك للازمنة والاوقات لا للسعد والنحس وزوس وابو الهول وبرهمه الهةٌ لا وجود لها وربما كانوا بشرًا تالهوا على بشر

في الحقيقة الادبية الاصلية

ان مدار هذه الحقيقة يتوقف على مبادٍ واوضاعٍ تنشاء عن احكام الاتفاق او صواب العقل وذلك كقولك في الوضعيات الكل اعظم من جزئِهِ ومساوي المساوى مساوى · وكقولنا في الادبيات · كل لسان بانسان · وكل حال تزول فالمثلان المتقدمان هما حقيقتان ماخوذتان عن صواب العقل واصليتان لكونهما منشاء حقايق فرعية كثيرة · والمثلان المتاخران هما حقيقتان ماخوذتان عن احكام الاتفاق · واصليتان لكونهما مقياس عدد وافر من الحقايق الادبية وقس على ذلك

في الحقيقة الادبيــة الفرعية

ان هذه الحقيقة تاخذ صدورها من الحقيقة المتقدمة لانها تتفرع عنها وذلك كقولنا · النهر جزءٌ من البحر · فالبحر اعظم منه والحيوان كليٌّ للانسان فهو اعظم منهُ وزيدٌ مساوٍ لعمرو وعمرو مساوٍ لبكر فزيد مساو لبكر · وفلان يتكلم لسانين فهو يعدل انسانين · وحال زيدٍ في نعيمٍ او في شقا فهي تزول فان كل ذلك يدعى حقايق ادبية فرعية لانهُ قد تفرع عن الحقايق الاصلية المتقدم ايرادها

في الحقيقة الادبية الحقيقية

ان الحقيقة الادبية الحقيقية هي التي يُعبَّر عنها بالاسناد الوضعي الحقيقي · وذلك كما اذا قلنا · الصدق ثابتٌ والكذب زايلٌ والقدح شرٌّ · والمدح خيرٌ وزيدٌ شجاعٌ وعمروٌ جبانٌ فجميع هذه الامثال

هي حقايق ادبية حقيقية اذ يعبرَّ عنها بكلام وضعي لمعانيها. لان اسناد الثبوت الى الصدق هو اسناد حقيقي . وهكذا الزوال الى الكذب والشر الى القدح والخير الى المدح والشجاعة الى زيد والجبانة الى عمرو وقس على ذلك

في الحقيقة الادبية المجازية

ان هذه الحقيقة هي عكس المتقدمة لانها تقوم بالاسناد المجازى اي بكلام غير موضوع لمعناه . وذلك كما اذا قيل . الصدق غالب والكذب هارب . والقدح جلاّد . والمدح صديق وزيد اسد وعمرو ارنب . فان كل ذلك يدعى حقايق مجازية لاشتمالها على الاسناد المجازى بوجود وجه معنوى بين ركني الكلام . كالوجه الموجود بين الصدق والغلب وهو القوة . والوجه الموجود بين الكذب والهرب . وهو الضعف . وهكذا فنل الصيت بين القدح والجلاّد والموالاه بين المدح والصديق وكذلك حصول وجه الاستعارة المجازية بين زيد والاسد وهو الشجاعة وبين عمر والارنب وهو الجبانة . وعلى ذلك تجرى كل حقيقة تتضمن مجازًا اسناديًا او استعاريًا او مرسلا فتامل

ويدخل في هذه الحقيقة كثير من الحقايق التي تكون طبيعية لفظًا وادبية معنى . او طبيعية المادة . وادبية الصورة وذلك كقولى من قصيدة مطلعها

دارت عليَّ من الصفاح كؤوسُ وبدت لديَّ من الرماح شموسُ
بابي كؤوس هوي تطوف بها على قلبي شموس دمىً لمنَّ نفوسُ

الى ان اقول

قسي فؤادك مااستطعت فان لى سحرًا يعود زمانه ويسوس
هذا فؤادٌ من حديدٍ باردٍ ابدًا وذاك السحر مغناطيس

فهنا ترى في البيت الاخير حقيقة كل الفاظها طبيعية محضًا . وادبية معنى لان المراد هو عصاوة الميل المعبر عنها بفؤاد من حديد والاستعطاف المعبر عنه بسحر من مغناطيس اى حسن البيان والوجه في هذه الحقيقة . هو الشبه الحاصل بين الحديد والقساوة وبين المغناطيس وحسن البيان . على انه كما ان المغناطيس يجذب الحديد هكذا حسن البيان في التكلم يجذب الخواطر القاسيه

كلام على ما تقدم

انه لما كانت الحقايق الادبية مشيدة على التصورات والاوهام او على الصواب والاستحسان . او على الحوادث الاجتماعية والمبادي العرفية . كان حقها خاضعًا لاحكام العقل عليها وتصرف الزمان بها . ولذلك كان اغلبها يتقلب حسب تقلب اهواء البشر ويتغير حسب تغير الظروف وينتقل تبعًا لتنقل الازمنة والاجيال . وهكذا فاننا نرى كثيرًا من الحقايق الادبية التى كانت تعتبر قديمًا كحقايق صحيحة راهنة صارت تعتبر اليوم كخرافات واراجيف . وكذلك يوجد من هذه الحقايق ما يختلف اعتباره بين البشر اختلاف اجناسهم ونواميسهم واذواقهم . ومن هذه الحقايق ما يختلف مقامه اختلاف عقول الافراد باحكامها . فما يراه الافرنج صحيحًا يراه العرب عليلا ربما

براه الفرس صادقاً يراه الغول باطلا · وما يحكم عليه زيدٌ بكونه صواباً يحكم عليه عمروٌ بكونه خطاء · وهكذا فاننا نرى عددا وافرا من هذه الحقايق الادبية . قد صار سبباً لكثير من الحروب بين البشر · والفتن والقلاقل والبلابل · والاضطهادات حتى ولكثير من الانقلابات والدثار والدمار

وطالما نرى بين اصحاب الحقايق الطبيعية واصحاب الحقايق الادبية نزاعاً وقراعاً لا يفتران · على ان كلاً من الفريقين يكافح ويقارع الاخر باسلحة حقايقهِ ليستظهرها ويستنصرها فهذا يهجم بقوات الطبيعة والهيولى · وذاك يهجم بقوى العقل والصواب · هذا ينقض باجنحة المشاهدة والمعاينة وذاك ينقض باجنحه الاستقراء والاستنتاج وخاصة حزب الحقايق العدمية · فان اتقاد نيرانهم ضد حزب الحقايق الوجودية لا يفتر شراره · ولا يخبو اواره · ولا يزالون ساعين في تدمير معاهد الحقايق الوجوديه وتهبيط كل مشاداتها لايجاد المعدوم واعدام الموجود وحسبنا شهادة كل التواريخ على ذلك

بيان

انا على ما انا من الخُلُقِ	باقٍ على مذهبي وفي طرقي
اصون عرضي وان نطقتُ فذا	بالحقّ فالحقُّ لى يفي ويقي
ما لى عدوٌ سوى الكذوب فلم	يزل عدوا لصاحب الصُدُقِ
لا اكذب الله ان لى شيماً	تحمى فمى من شوايب الملق
فلا كبيرٌ سطا عليّ ولا	يدٌ لها منةٌ على عنقى

ولا تسابقتُ في المفاخر بل سرتُ الهوينا وفزتُ بالسبقِ
ولا اشتريتُ الثناء من احدٍ بالمال بل بالجهـاد والارقِ
ولا تقاعستُ قط عن طلبٍ لكنَّ دهري عليَّ في حنقِ
اسقى غروسي فان اجدْ ثمرًا اقطف والا رضيت بالورقِ
والقنع للنفس راحةً وغنىً فـلا طمـاعية بلا قلقِ
هذي العنايا وهنَّ بحر شقى اخوض والناس اوجبوا غرقي
ان كان لى حكمةٌ فلي هممٌ تسعى بها دون كل ذي حمقِ
اقول والقول في فمى لهبٌ يسطو على الاغبيـاء بالحرقِ
قومٌ يرومون قفل كل فم لذا يلومون كل ذى نطقِ
يبـاركون انغلاق منفتح ويلعنون انفتـاح منغلقِ
سبرتُ اخلاقهم فليس لنـا الا شقيٌ يريك وجه تقي
ياايها القاصدون غلق فمي خبتم فهذا فمٌ بـلا غلقِ
هدايَ برقٌ وجهلكم سحبٌ مهـلا فلا برق غير منطلقِ
لدولة الحق سطوة قهرت بالعزم اهل الصفاح والدرق
ليخفض الليل رفع رايتـه فذاك جيش الضحى على الافق
ليلٌ فشى الصبح شهبهُ واذاً ذي الشهبُ بهم كسين بالغسق

ايضـاح

دارت على همي هموم عداتي وجرت على كلمى كلوم وشاتي
هذا عدوٌ بانكسار ذاهبٌ عنى وذا واش بعذرٍ ات
ليت العداة علمنَ ان الدهر لم يبرح بهنَّ منفذًا نفثاتى

ان كان دهرى خانني فلانٌ لى ... فضلاً ولكن لم يخن كلماتي

يا ايها الباغون سدَّ قريحتي ... مهلاً فليس يهون سدُّ فرات

او تطرقون عزيمتي وامامها ... رضوى يرضُّ وطارق الاكمات

لا يشمتنكمُ سكوتي بالردى ... ان الفتى لمقدر الحركات

عودتمونى ذمكم وانا علي ... ما قيل لستُ احول عن عاداتي

قمتم عليَّ كأنني ملكٌ لكم ... ان الملوك تجلُّ بالقومات

هل قد اضرَّ بكم جميل فعايلى ... معكم وهل ساءتكمُ حسناتى

لا تحسدونى ان افق افاقكم ... بل سابقونى والحقوا خطواتى

كلٌّ له فعلٌ يناسب عزمه ... ما كلُّ ذي سيفٍ بذي غزوات

شاؤل بالالاف اقبل فاتكا ... لكنما داود بالربوات

جئتم بشمشومٍ وجئتُ بهرقلٍ ... والله يعطى النصر في الوقعات

ان كان باخٌ ذو العمود نصيركم ... خبتم فلي زوسٌ ابو الصعات

وقلت .

مالى وللفضل والجهالة لي ... اولى فذي لذةٌ وذا المُ

ان كان بالفضل رفعُ مرتبةٍ ... لم ينخفض ما جرى به القسمُ

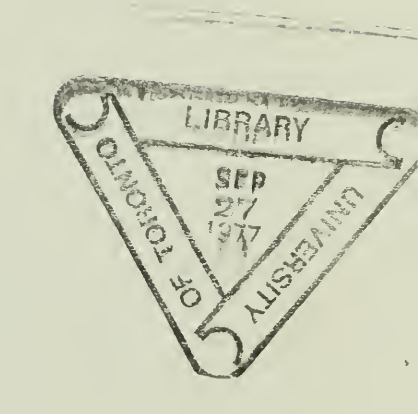
انتهى

قد تم بحوله تعالى كتاب مشهد الاحوال ومن اراد الحصول عليه فيطلبه من مكتبتنا العمومية وفي دمشق الشام يطلب من الخواجا ايليا باسيل وفي حلب الشهباء يطلب من احمد افندي وهبي وفي مصر يطلب من الخواجا جرجي غرزوزي وفي الاستانة العلية من ادارة الجوائب








LIBRARY
SEP
27
1977
UNIVERSITY
OF TORONTO



